عبد العظيم فنجان: **الحبُ، حسب التقويم السومري**

عبد العظيم فنجان

الحبُ،
حسب التقويم السومري

منشورات الجمل

عبد العظيم فنجان شاعر عراقي، لا ينتمي إلى جيل شعري معين: كسول ومهمِل في النشر، و ينتمي إلى الهوامش والشوارع الخلفية، بعيدا عن متطلبات العيش في الواجهات، لكنه في المركز دائما، عبر انشغاله كليا بالشعر وفي متابعة ما يُنشر في كل مكان. صدرت له عن منشورات دار الجمل «**افكر مثل شجرة**» مجموعة شعرية عام ٢٠٠٩، كما صدرت له عام ٢٠١٢ «**الحب، حسب التقويم البغدادي**» مجموعة شعرية تتضمن القسم الأول من «**كتاب الحب**» الذي تمثل المجموعة الحالية القسم الثاني منه.
تُرجمت قصائده إلى عدة لغات عالمية، وله اسهامات ثقافية وادبية مقتضبة، في الصحف والمجلات العربية والعراقية، وله عدة مخطوطات روائية ودفاتر شعرية، في طريقها إلى النشر تباعا.

عبد العظيم فنجان: **الحبُ، حسب التقويم السومري،**
الطبعة الأولى، جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس باللغة العربية
محفوظة **لمنشورات الجمل**، بغداد ـ بيروت، ٢٠١٢
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣، بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٠١ ٣٥٣٣٠٤ (٠٠٩٦١)

© *Al-Kamel Verlag* 2012
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

إهداء

إلى هناء، زوجتي، رفيقة هذا الطيران.

وإلى خالد المعالي الذي لولاه لبقي الغبار يتراكم على أجنحتي. .

أولا
الأعمال الناقصة للملاك

«لا تبحثوا عنه في أعماله الكاملة، فهي قبر تأنفُ حتى الذئاب من الاقتراب منه، عندما يضربها الجوعُ، لكن ابحثوا عنه في أعماله الناقصة: في تلك القصائد المكتوبة على طاولات الحانات، في زوايا المقاهي، وعلى أسرّة الفنادق: هناك ستعثرون على اسطورته العجيبة، على دموعه الحقيقية، وعلى روحه الطليقة، الملطخة ببياض أصيل، فاضتْ به عليه صبيةٌ رآها في منامه، ثم تجلتْ له عارية، في الصباح، واختفتْ فجأة، في خوابي العالم، دون أن تترك له أثرا واحدا، لكن برق تجليها الساحر بقي يومض له في كل آن، فدوّنه على أوراق ملطخة بالكحول وبالتبغ وبآثار القهوة وبالدموع، وتعجُّ بأخطاء إملائية ونحوية وبلاغية، هي انعكاسٌ لاضطرابه كملاك، بعد أن عرفَ الطريقَ إلى الجنة، جرّب طرقا أخرى إلى الجحيم، بحثا عن محبوبته الخرافية، ولم يجدها.. حتى لحظة كتابة هذه السطور..»

جاء في أخبارِكِ

جاء في أخبارِكِ أن شاعرا كتبَ اغنية عن صبيةٍ رآها في منامه، وأن الاغنية عندما وصلتْ إليكِ رأيتِ الشاعرَ في المنام، فخرجتِ باحثة عنه بين المدن، حتى تشعّبتِ في البلدان، وتفرقتْ روحكِ بين القصائد والأغاني.

كنتِ تسألين عنه الحيارى والمجانين والغرباء والسكارى والأنبياء والصعاليك والفلاسفة، وما كنتِ تعرفين أنكِ كنتِ تسألينه، هو الذي تفرّق في هؤلاء، وتشعّبتْ روحُه بين أجسادهم، بحثا عنكِ في البلدان والقصائد والأغاني..

تماثيل

كانوا يبحثونَ عن اسطورتهم في الكتب، في الحانات، وفي حكايات السائرين في نومهم.

كانوا يسافرونَ في كلّ اتجاه: يهيمون في المواني‌ء، يسبحونَ في أحواض الخيال، يتشرّدونَ في المدن، في الساحات وفي الأزقة.

كانوا يعودونَ محمّلين بالعشبِ وبالعطورِ، بالدموعِ وبالترابِ وبالينابيعِ وبالغبارِ.

كانوا يجمعونَ كلّ هذا، وكلَّ ذاك.

كانوا يصنعونَ تمثالا لكِ بما جمعوا.

كانوا ينتظرونَ أن تنتقل إليه أرواحُهم، فيعيشون فيكِ.

كانوا..

فيما هم ينهونَ مهمتهم، ذات ليلة، وقد أخذ بلبّهم جَمالُ ما ابتكروا، سرتِ فجأة، ومشيتِ من بينهم عارية، كشعلة، أما هم فلم يتحرّكوا قيد أنملة.

كانوا قد أصبحوا تماثيل.

كانوا يحبونكِ

كانوا يحبونكِ كما لو أنهم لم يحبوا من قبلكِ، هم الذين أحبوا قبلكِ قبائلَ من النساء، إضافة إلى طوائف من الصبايا، اجترحوا أوصافهنّ من الكتبِ، ومن أزقة الخيالِ، لكنهم أحبوكِ لأنهم أحبوكِ في كلّ امرأة، قال الشعر: إنها امرأة..

كانوا يحبونكِ، رغم أنهم يعرفونَ تماما أنكِ لا تحبين أحدا، لأنهم كانوا يعثرون على خطوات بعضهم البعض فوق أرض روحكِ، وكانوا يحبونكِ رغم ذلك، لأنهم يفهمونَ أنكِ مخلوقةً هشة مثلهم..

كانوا يحبونكِ، وكانوا ـ فوق ذلك ـ يعلمونَ أنكِ ستهجرينهم دفعة واحدة، لذلك كانوا يتهيأون، ويعزمون على أن يتيهوا وراءك في الأرض، حتى يعثروا على آثارك في المرافيء، وفي الحانات: في الأزقة والسفن والفنادق، لأنكِ امرأةٌ حقيقيةٌ جدا، كحقيقة أنكِ خرجتِ من هذه القصيدة، وتوزعتِ على القراء، في جميع العالم، رقة وحنانا: روحا وجسدا، وقبلة.

كانوا واثقين أنهم سيجدونكِ، وأنهم سينتحبونَ على أكتاف بعضهم البعض، لأنكِ ستلعبين اللعبة ذاتها في مكان آخر، وأن عشاقكِ هناك يحبونكِ كما لو أنهم لم يحبوا من قبلك، هم الذين أحبوا قبلكِ قبائلَ من

النساء، إضافة إلى طوائف من الحوريات والصبايا، اجترحوا أوصافهن من الكتبِ، ومن أزقة الخيالِ، لكنهم أحبوكِ لأنهم أحبوكِ في كل امرأة قال الشِعر: إنها امرأةٌ. .

سيلبثون هكذا، يتوالدونَ من خلالكِ: يتكاثرونَ في الفصول، في الثورات، وفي العواصف، وسيؤلفون عنكِ كتبا وأساطير وأغانٍ، وستلبثين خالدة: تنبعثين مع كل مطر يسقط فوق هامة الغريب، مع كلّ بحة ناي، ومع كلّ نافذة تفتحها العاصفةُ فتطيرُ العصافيرُ من ثيابهم المنشورة على حبال غسيل العالم . .

سيتوارونَ، في النسيان، غير عابئين، لأنهم كانوا يحبونكِ، كما لم يحبوا من قبلكِ، هم الذين أحبوا قبلكِ قبائلَ من النساء، إضافة إلى طوائف من الحوريات والصبايا، اجترحوا أوصافهنَّ من الكتبِ، ومن أزقة الخيالِ، لكنهم أحبوك لأنهم أحبوكِ في كل امرأة قال الشعر: إنها امرأة

فكرةٌ عن الضوء أو ضوء فكرة

لا أتذكرُ كيف وصلتُ، لأنني تخطيتُ جسدي وسكنتُ الفكرةَ. لم يروّعني ما صادفتُ من وحوش أو من أعداء، لأنني كنتُ اريدُ مقابلة الجَمال شخصيا حتى عانقني، أخيرا، فبكيتُ وهو يربتُ على كتفي: «لقد وصلتَ، يا أخي. .» وفتحتُ عينيّ لأجدكِ، واقفة، بانتظاري.

خفتُ من جَمالكِ، لأنه كان جميلا، كما أنني كنتُ أضعف من أن أسكنَ صاعقته، أو من أن أعوم في حوض جلالته، فأغمضتُ عينيَّ، ورضيتُ بالخسارة، مكتفيا بأنني قابلتُ جمالكِ مرة واحدة، وأن صاعقته قد ضربتني برفق، رغم أنني لم أعد سوى فكرة عن الضوء، أو ضوء فكرة.

البستان

من أقصى الماضي أتيتُ لأقولَ: احبكِ، وإلى أقصى الماضي مضيتُ لأقول: احبكِ. في ذلك الذهاب، وفي تلك العودة، كنتُ البستانَ الذي يطوفُ الأزمنة بحثا عن شجرة، هي خلاصته، ساعة يتصحّرُ العالمُ، فلا يعود العاشقُ من رحلته إلا بالغبار على القدمين، أو بحفنة من الرمل، من داخلها ينفجرُ، مثل واحةٍ، قلبُه. .

أحبُ الحبَ العاثر الحظ

أحبكِ وأنا منشقٌ عن عشاقكِ، رغم أنني في المقدمة دائما: لا أريدُ فرحا سهلَ الكسر كالزجاج، ولا أعتني بتربية الغفران الذي يلجمُ التمرّدَ: أحبُّ الحبَ العاثر الحظ، الذي يمنحُ الكائنَ حرّية وعرة، يجرفها القلبُ البديع مع سيوله إلى حيث المخبوء من الدرّ في الباطن:

هكذا أحبكِ.

هكذا أسلكُ إلى قلبك طرقا وعرة، رغم معرفتي أن طرقا اخرى توصلني إليكِ، بدون مشقة.

كأسي الفارغة على طاولة الحياة لن أتنازل عنها: إنها مأهولةٌ بعطشٍ جوهره أنتِ.

الباقيات الصالحات من الحب

أنتِ الدرّةُ التي يعجزُ اللمعانُ، كلُّ اللمعان، أن يشي بجوهره، كما أنكِ مركزُ الرغبة، والباقياتُ الصالحات من الحب، أنتِ.

ثم أنكِ سفكٌ لدم النشوة، وإباحة الطيران في فضاء الروح، أنتِ..

أنتِ مختصر سلالات من العشق:
تكثيفٌ للدوار، أنتِ.

أنتِ كتبٌ غير مقروءة،
يحفظها الأميون عن ظهر قلب:

جرعات قليلة يأخذها العالمُ منكِ فيعود طفلا:
بللٌ منكِ ويفورُ التنورُ، ويبدأ الطوفان:
طوفانُ جمالكِ.

شوارعٌ خلفية، وهذيان أزقة منسية تجلسُ الصبايا تحت نور مصابيحها لتبوح بالأسرار، أنتِ..

النبع

أفتقدُ صوتكِ الذي يأخذني إلى النبع الذي بحثَ عنه الشعراءُ في الشِعر، ومنقبّو الآثار في الخرائط: ذلك النبعُ المسحور، الذي قطرةٌ منه تجعلُ الأبدَ في متناول اليد، والحياة طويلة، كشَعركِ الذي يسيلُ في النبعِ، ويسيلُ معه صوتكِ والشعراء والرحالة والأبد.

أفتقدُ صوتكِ المخضّب بالأبد.

قتلتُ مَن أحبُ ومن لا أحبُ

قتلتُ مَن أحبُ ومَن لا أحبُ، لاستخلصَ لكِ حبا لم يحبه أحدٌ من قبل، حتى أنني غزلتُ خيطا من الجنون لأُخيطَ بدلة تعزلني عن الناس، وعن العزلةِ

صحتُ: «ما في الجبّة إلا هي. إلا هي . .» وبكيتُ، فلستُ أعرفُ مَن «هي» وأعرفكِ أنتِ.

آهـ. . .

كلُّ «هي» تعزلني عنكِ.

كلُّ اشارة تأخذني منكِ.

هكذا عبدتكِ في العلن، في السرّ، وفي السُكر في الحانات.

قلتُ: محبوبتي لم تلد.

صحتُ: ولم تولد.

وكدتُ أن أبشّر بولادة لا تطيقها لغة الناس، لكنني أومأتُ إلى القلب، ولم أعرف أنني فعلتُ الشِعر حين أومأتُ، فقد قابلتُ نفسي في قلبكِ، وقابلتُ قلبي في نفسكِ، حتى اختلط عليَّ الأمر، فصرتُ شاعرا.

طاعة من غبار

مثل إله سومري أفكرُ فيكِ، وأنا أضعُ رأس تمثالي الذي كسره الغزاةُ، في حِجري، مطلقا العنان لطوفان من الذكريات، يسيلُ مع دموع دجلة وحسرات الفرات..

آهـ... ربما عرفتُ الآن كيف كان يخفقُ قلبُ الطين بين يدي ذلك الفنان الغامض، الفنان المجهول، الذي صاغ تمثالكِ، من أجل أن أكون عاشقك المستحيل: عاشقكِ الذي يقودُ موكبا من حطام تماثيله، وينحني أمام خرائب أجدادي السومريين، ليقدَّمَ لكِ طاعة من غبار..

كوني واحدة، لأتعدد

أعطيتكِ الحواس كي تبعثريني، كما يفعل زورقٌ بحزمة أمواج، كما يفعل خيطٌ رفيع بروح شمعة. لم أعرف أنني اعطيتكِ ما يجعلني أتيه فيكِ، آه.. تيهكِ، مع ذلك، من أندر ما يكون، فقد مارستُ هذه الضلالة، ولم أنتشِ كما الآن: أنا التائه قبل أن يبتكر الإنسان المتاهة.

كوني عادلة معكِ، لأشنق الزمن.
كوني قاسية، لأنحدر مع دموعكِ.
كوني بيضاء، لأكون لطخة نار في عروق الثلج.
كوني قديسة لأتمرد على الطاعة، ولأكون الموقد لجمرة الكفر.
كوني خائنة، لأخطفَ الوفاء.
كوني ربما مجنونة، لأرجمكِ قبلة بعد قبلة.
كوني حبيبة، لأبحث عنك في الشعر وفي الاغاني .
قولي: أكرهكِ، لأكشف الخلل في تركيبة الكون..

كوني واحدة، لأتعدد.
كوني عديدة، لأحبكِ ممزقا بين شرقك وغربكِ.

مثل مكسور ينكسر

أضمّكِ إلى القلب، فأنتِ قلبه.
أسكنكِ لأنكِ مأهولة بي.
افرّقكِ لأنكِ الشعاع الذي يضيء الباطن.
أتبعكِ لأنكِ هائمة في مرايا تعكسني عاشقا يلملمُ آثاركِ في الكتب، في الممكن، وفي غياهب المطلق.

أهربُ مني، فأجدني نائما في أحضانكِ.
أكتبكِ وأمحوكِ، فلستُ أعرف كيف أكتبكِ، فأنتِ الشِعر ومأزق الكتابة.

لا أعرفُ كيف احبكِ وأنا ملطخ ببياضكِ.

اريدُ أن أكتبكِ بقلم الرصاص، ثم أنكسرُ مثل قلم الرصاص.
اريدُ أن أنكسرَ، وأنا أرسمُ حقول الحنان في صوتكِ:
اريدُ أن أنكسرَ انكسارك:
اريدُ أن أنكسرَ مثل جرّة، وانكسرَ مثل مكسور ينكسرُ، أتبعثرُ مثل شجرة في قلبها عاصفة ريح ولا يجمعني إلا بياضكِ.

كما قارب في إعصار

كان يحبكِ لأنكِ عاصفة تخجلُ أن توقظَ الشجرة، ويحبكِ ـ كان ـ لأن الأرضَ مستطيلة وأنتِ أضلاعها، ولأنكِ كنتِ تخيطين الشقَّ في ثياب العالم بضحكتكِ، كان يحبكِ:

كان يحبكِ وكان يحبكِ وكان.. يحبكِ لأنه يحبكِ: وكان يعرفُ أن ليس بإمكانكِ أن تحبينه لأن أحزانه عصيّة على الفهم، مثل لغز، ولأنه ما كان يملكُ أكثر من أن ينظرَ إليكِ بصمتٍ، مكتفيا بمعجزة وجهكِ الذي تنفجرُ منه رغباتٌ مبهمة، يملكُ أن يحققها لكِ، سوى أنه يفضل ألا يكون دخيلا على حياتكِ، فيقلبها عليكِ، كما قارب في إعصار..

الشُعلة

عندما كفرتُ بحبكِ صرتُ أكثرَ تديّنا:

صرتُ معصية من العطر، تركعُ خاشعة لكل وردة، ولم أتوقع أن أكونَ مؤمنا يبشّرُ برسالةٍ لا يعرفُ كنهها: يتلعثمُ حائرا، فيطارده الناسُ بالحجارة، أو يسقط مغشيا عليه، كلما شاهدكِ خلف نافذة ترتلين آية من اليأس، أو تغسلين الصباح بموجة من الرحمة.

لم أحلم بكرامة أن أمشي في الهواء، أو أن أكتبَ شِعرا يجعلني جميلا، ويبعثكِ امرأة خارجة من النار بوجهٍ تنحني لجماله الشعلةُ.

كفرتُ لأكفرَ في ساعة كفر، ولم أتوقع أن تكوني القربان، لأنجو من خطيئة أن لا أحبكِ بالطاعة، وأن لا أعبدكِ إلا بالمعصية.

ضمّة ناقصة

مازلتُ ألعبُ نفس اللعبة: أغمضُ عيني، مصمما على أن أحتفظَ بآخر شُعلة توهّج بها وجهكِ، وأنتِ تلتفتين نحوي: أنا الذي لم أعرف، رغم كلّ تجاربي، أننا صرنا عاشقين بعد الأوان.

ما بيننا كان ضمّة ناقصة، لو أنها اكتملتْ لتنهدتِ الحيطانُ، واشتعل الحنانُ في قلب عالمنا السافل، عالمنا البارد.

آه، ضمّة..

لو أنها سمحتْ لنا أن نتحدَ، مرة واحدة فقط، لدخلَ الجنة حتى اولئكِ الذين باعوكِ إلى الفحم، أنتِ عشتاري، وأنتِ الدرّة، التي لا يشعّ لمعانُ القلب الإنساني إلا منها.

الأعمى

أعرفكِ بالقليل من المعرفة، لكن الحب يفجّرُ، في داخلي، رغبة أن أعرفكِ بالأكثر من الحب ومن المعرفة، كما أنني أعرفني عندما اقتربُ منكِ: كلُّ خطوة نحوكِ وصولٌ، وكلُّ التصاق بكِ ذوبانٌ. احبكِ فقط لا غير، كما أنني أحبكِ على شاكلة الأعمى لأنكِ عصاي.

لا مآرب في حبي سوى أن أفوز بجائزة تكتبني شعاعا بعد كل معرفة، أو تغزلني خيطا من الورد في عطر قلبكِ..

الفريسة

أضعُ ترددي، على آثاركِ، في خدمتكِ: أنقلُ قلقي إلى جواركِ، اريدكِ أن تعرفي أن بدلتي المنسوجة من العظام والجِلد قد تهرأتْ، وأنني ما كنتُ شاعرا مهمِلا إلا لأنكِ النشاطُ: أنتِ العافيةُ، وغبطةُ العيش مع صداقة الخطر.

اريدكِ أن تجرّبي ألمي، لتعرفي ما يدورُ في نفس النار، عندما لا تجد حطبا.

آهـ...

اريدكِ أن تعرفي أنني عندما وجدتُ مَن يلوّح لكِ بالذبح لم أتردد، أبدا، من أن أكون الفريسة..

قُبلتكِ

أحتفظُ، مازلتُ، بقبلتكِ السريعة، قبلتكِ الجريئة، تلك القبلة المعجزة، التي انطبعتْ على يدي، ونحن نسلكُ ممرا خاليا من الخوف، ومزدحما فيه.

آه.. تلك القبلة المكثفة التي اختصرتنا في كائن واحد: تلك القبلة اليائسة، تلك القبلة الواثقة، المضطربة، الخائفة، الحارة، تلك القبلة التي ظلتْ تحفرُ آبارا يشربُ منها الخائبون قصائد تحبكِ، ولا أشربُ منها قطرة، لأنكِ البئرُ المسحورة، بئري الساحر، تلك البئر العميقة العميقة، التي رميتُ إليه بدلو قبلتي، وجلستُ عند حافتها، منتظرا صعوده محملا ببلور قبلاتكِ، رغم أن بلاد سومر قد سقطتْ بأيدي الغزاة، مصمما على أن معجزتكِ الكبرى ستحصلُ يوما، غيرعابئ بالخراب، ولا بانقطاع الحبل..

أقابلني في عيونكِ

أضمرُ في نفسي أن أكونكِ، فأكون غيركِ.
اضمرُ في نفسي أن اكونني، فأكونكِ.
أضمرُ أن ألمّكِ، فاوزعني.
أضمرُ أن اقابلكِ في مكان ليس فيه أحد سوانا، فاقابلني في عيونكِ.

أنتِ حيرةُ الطفل في متاهة حلمه.
أنتِ بهجة الكتابة، وعناء السقوط في كمائن القصيدة.
أنتِ سلّم من الأجفان، ينتهي برمش سعفة: اتسلقه وفي السعفةِ أنا، فلا أجد الا أنتِ في مكاني.
أنتِ حنانٌ نادر، ينبتُ كيفما اتفق، كالفطر، في براري روحي.

جاء في القلب أنكِ الحنان

جاء في الفرح أنكِ العيدُ، وجاء في العيد أنك صبيةٌ، وجاء في الصبية أنكِ عاشقةٌ، وجاء في العاشقة أنكِ القلبُ، وجاء في القلب أنكِ الحنانُ، وجاء في الحنان أنكِ الربيعُ، وجاء في الربيع أنكِ الوردةُ، و جاء في الوردة أنكِ الفراشةُ، وجاء في الفراشة أنكِ الرحيقُ. .

ما جاء في الرحيق لن يصدقه أحدٌ، لأنه وجهكِ، ولأن ما جاء في وجهكِ هو الصباحُ: ذلك الصباحُ الذي يخلع فيه الزمن جلبابَ برودته، ويبتسمُ لأنكِ صبيةٌ عاشقةٌ، صبيةٌ عاشقةٌ، وحدها، تعرفُ أين المفتاح، المفتاح المسحور، الذي يفتحُ جميعَ الأبوابَ ليدخل، بكامل قيافته، العيدُ. .

عليكِ السلام

عليكِ السلامُ كلما رنَّ الجمالُ في الأقاصي، كلما انفجر الضوءُ في باطن العاشقة، كلما فرَّت الروحُ من العائلة، كلما نصع القمرُ فوق تلال الجسد، كلما سقط المشتاقُ مضرجا باللهفة، كلما تولّهت امرأةٌ، كلما شعّ الإنسانُ في قلب عاشق، كلما كتبَ الملاكُ ذنبا، كلما صدح الغناءُ من خلف نافذة، كلما مشي الشاعرُ فوق المياه، كلما نبتتْ كلمةٌ، كلما خرجت من الكلمة سبعُ كلمات، كلما أنبتتْ الكلماتُ حدائق مسحورة بقصائد وجهكِ. .

عليكِ السلام كلما فاضتْ، من ثقوب الناي، حياتي.

آية دموعكِ

أتناولكِ بالخيال لأنكِ حقيقيةٌ، كعطر أفلتَ من يد الحديقة ليكون روحكِ. أتشمّمكِ في التراب، عندما يعطفُ البرقُ بصرخته ليوقظ العالم، وأدخلُ النارَ لأنكِ فيها البرد والسلام. أقول للعناصر: احبكِ، لأنكِ جوهرها، وأقولُ: احبكِ، فأملكُ العناصر..

في كل جمرة يلاطفني بدنُ رغبتكِ، كما أن كلَّ نبع يتلو آية دموعكِ، عندما أنحني لأرسمكِ ساقية لجريان روحه..

دموع

الملاكُ على كتفكِ الأيمن يسألُ الملاكَ على كتفكِ الأيسر: ماذا يكتبُ، عندما تكتبين قبلاتك على فمي، فينصحه بأن يمزق أوراقه:

ـ الله لا يؤاخذنا إن لم نستطع كتابة المطر، كما يكتبه هذان العاشقان.

ها أني، بعد أن افترقنا، أجمعُ دموع الملاكين، لتسيل في وديان هذه القصيدة.

كانت آيتكِ أنكِ امرأة

كانت آيتكِ أنكِ امرأةٌ تنقلُ الضوءَ، بنظراتها، من شمعة إلى شمعة: كان الغريبُ، عندما لا يجد مَن ينادي عليه، يتخذ من صوتكِ مأوى، وكان المشتاقُ يمشي على نور يديكِ ليقابل قلبه.

ومن آياتكِ أيضا.. أنكِ امرأة تتشمّسُ في داخلها الموسيقى، وتنفردُ بها القصائدُ عندما يتراكم الغبارُ على الكتب..

يا خرائبي، يا حبي

فكرتُ، في الأول، أن أقتلَ تردّدي، لكن التردد كان أقوى من القتل، وأكثر جمالا من الموت، فتقدمتُ وأنا أتردّدُ بيني وبيني، حتى انشطرتُ، لأن تجلياتكِ كانت تضاعفُ خفقات ترددي.

كانت تجلياتك أكثر من أن يحتويها مكان، هكذا صرتُ أمكنة، و تمزقتُ وتمزقَ معي الزمنُ، هكذا أيضا ضعتُ في التناقض:

لا أحد مثلي ينجز معجزته بالشطب على معجزته، أو يقطعُ خرائبه، جيئة وذهابا، صارخا: آه، يا حدائقي.. يا حبي.

الينبوع

الدموعُ، وهي تحفرُ لها دروبا على خديكِ، تأخذ معها رحيق الينبوع الذي انحدرتْ منه، فاتشممكِ بصمت: أعرفُ الجمالَ الذي مصدره أنتِ، اميّزه عن حنان الامهات اللواتي نمتُ في أحضانهن، قصيدة بعد قصيدة.

اعرفُ جمالك من بين جمال كل الحبيبات، اميّزه بالدموع، بالشغف المجنون، وبالاغنية التي انحدرتْ منكِ، ذات ليلة، فأخذتْ معها كاملَ الصوت، وكاملَ الحنجرة.

من يومها وأنتِ خرساء، ووحدي الذي أسمعكِ.

فمكِ . .

حفيفُ غرائزكِ، يأخذني إلى حدائقكِ المسحورة، حيثُ فمكِ الذي يتقن غرس القبلة تلو القبلة فيخرج البستان عن طوره: يخرجُ البستانُ عن طوره، فيصير شجرة. الشجرة تصير غصنا، ثم ينقسم الغصنُ بين الورقة والثمرة. بفمكِ تقدّمين لي الثمرة، وبفمكِ، على الورقة، أرسمُ فمكِ. .

فمكِ ينتظر أن أكون شريكه في خلق أطوار اخرى: طبقات اخرى من الأرض، لتنبتُ شجرة الرغبة، عالية جدا، لكنها سهلة الصعود مثلكِ، وعصية على السهولة، مثلكِ أيضا.

من عاداتكِ أيضا

من عاداتكِ، عندما يفورُ الجمرُ في القلب، أن تطلبي من الريح دخولا عاصفا يطلقُ سراحَ الصورة من إطارها، فتخرجُ امرأة من النافذة، تخرجُ عارية من الإطار، وتثب من على سياج اليأس، فيسطع القمرُ: يندلعُ التينُ من الشفاه، ينفجرُ الزيتون في العيون، دمعة بعد دمعة، ويتفتحُ التفاحُ، كلّ التفاحُ، تحت القميص..

ومن عاداتكِ أيضا: عندما يثورُ البركانُ، أن تجعلي من جسدك فوّهة له، أن تنشري على حبال رغبتكِ غسيلَ حممه، وأن تشرقي على قرية العالم، مثل كونٍ من الرمان يلمعُ في نسغ شرارة.

كان حنانك

كان حنانُكِ فائق الحنان، وكان يفيضُ عن حاجتي، ليغمر شعبا من القراء، يتبعونني أينما كتبت اسمكِ.

أينما كتبتُ اسمكِ يأتي الحنانُ بثوبكِ الأبيض، فيشطفُ الأحزان، ويجرف اليأس، كما كان يفعل طوفان أجدادي في غابر المطر..

كان حنانكِ طائرة ورقية، وكنتُ الخيط:

كنتُ الخيط والطائرة، وكنتُ الصبي الذي يطيرُ من الأزقة نحو مجرّات حنانكِ..

عندما وصلتني الطعنةُ.

عندما طُعنتُ منكِ عميقا، لم أتألم.

ما كنتِ عادلة لأن أتألم كما ينبغي لعاشق مطعون، ما كنتِ تجيدين أن أنكسر، أن أتلوى في عاصفة الألم كخيط مقطوع، فقد صار حنانكِ هو الحصن..

آه، حنانك حصنٌ ظلّ يحميني من كل فقدان، من كل خسارة، ومن كل طعنة.

نوافذ

كنتِ تفتحين نافذة قميصكِ، لتستطلع حمامتان مرسومتان على صدركِ، ظهورَ اليابسةِ، لكنهما في كل مرة كانتا تعودان بدموع طافية فوق مياه الطوفان، هي زوارق رغبتكِ، التي عبثا حاولت عواصف آلهة العالم القديم أن تقلبها، لئلا تتقطرُ من حنفية الماء في صحن راحتي، فأرتعشُ من فرط الماء في تنور عطشكِ

. . يا مفقودتي، يا عشتاري، يا امي. .

خرّبتِ أخلاق قصائدي

قلبتِ طاولةَ الكتابة، فتحتِ القاموسَ، وأفرغتِ صفحاته من الكلمات على الورقة، ثم نفختِ الورقة، فسقط العالمُ في سلة المهملات: سكبتِ النورَ على الفراش، فتحتِ النافذة، وقلتِ للحرية: «هيا بنا نلعبُ» ثم رميتِ صنارة شفاهكِ إلى قبلات مكبوتة في قعر خواطري.

مزقتِ الليلَ بقميصكِ المغمور بالنجوم، قلتِ: «لا احبكَ أو احبكَ، ما الفرق؟» ودخلتِ عميقا في جسدي، مثل طعنة حاقدة.

هكذا خرّبتِ أخلاق قصائدي..

أسمعُ يدي تزقزقُ

أسمعُ يدي تزقزقُ،
لأن مَن نحتَ تمثالكِ جعل نهديك مثل عصفورين صغيرين يرتجفان من البرد. .

أسمعُ يدي تزقزقُ
وأنا أمسحُ غبار القرون
الذي تراكم على صدركِ.

عطر

يغزلني صوتكِ ضوءاً في الصباح، وعندما يأتي الليلُ بأسراره، يفرّقني على طاولات الشِعر، كالشموع..

عندها تندلعُ ثيابُكِ في الحرائق، ويعط جسدكِ من مسام الزمن، معلنا خروج الربيع مع الترانيم، من المعابد، إلى الحقول، فتعمّني غبطة أن أكون هائما هناك.. في فصولكِ، في تقلبات مزاجكِ السومري، وأن ارفرفَ كالهواء، الذي يحرّكه العطرُ القادم من هناك، من غابات ونجوم شَعركِ..

اللا أحد

ألمحُكِ في قصيدةٍ لم أكتبها بعد، لكنها توقظني من النوم، أحيانا، لتأخذني إلى غموضكِ الذي يرتدي جلباب ليل أعرفُ مصابيحه، عندما كنتِ شعلة في فانوس قلبي، الذي أنفق زيتَ خفقانه ليضيء جسد غيابك الممتد حتى تخوم آخر جملة يكتبها شاعرٌ على الأرض:

لا أعرفُ مَن أنتِ لشدة ما أعرفكِ، ولا أعرفُ لماذا أجدني منقادا، رغم ذلك، إلى المشي نحوكِ، حيث أجد «اللا أحد» شخصيا، واقفا، منذ قرون، بانتظاري..

أنتِ

أنت التي أتشرّدُ في البرد، وأحملُ دفء يديها في جيوبي.
أنتِ التي أرزقُ منها بالعودة مني إليها.
أنت التي أسافرُ عن نفسي، فأجدها تنتظرني مع نفسي.
أنت التي أنحتُ من صخرِ حياتي تمثالها، فاشاهدني.
أنت التي أجلسُ داخلها، ومن داخلي يفوحُ عطرها.

العصفور

لأنكِ تتوحدين مع الغيوم، أشعرُكِ تمطرين حالما أتمُّ عرسَ قصيدتكِ. . لكن، لأنكِ تتعارضين مع كلّ شكل: تخلقين أطوارا غير مخلوقة من قبل، أكتبكِ ثانية فأشعرُكِ كالنار، تقلبين مزاج الجهات، بحثا عن شكل يلعبُ بالريح، فيقلبُ شكلها. .

أكتبكِ ثالثة ورابعة وخامسة، ثم أجلسُ القرفصاء داخل الكتابة، فلستُ أعرفُ لغة تطلقُ سراحي من أسر حريتكِ غير أن اخرّبَ الخيال والعقل معا، لأكتبكِ على لاهدى.

أكتبُ: احبكِ، وأعني: لا أشعر بالأمان ولا بالخوف.

احبكِ تعني: إنني أطلبُ معجزة رحمتكِ، مثل عصفور ضربته العاصفةُ، فلم يعد يُحسن الإمساكَ حتى بجناحيه. .

القشّة

نحيفة أفكاري هذا المساء، وضامرٌ قلقي هو الآخر. عبثا أعتني بما بقي، فما ذهب كان الهباءُ الذي اتخذته خِلاً.

يدهشني بحرٌ لا توجد له خارطة، رغم أنني لم أتعلم فن العوم: ما زلتُ احبني في الخطر، أهبطُ نحو القعر، ساخرا من قوارب الإنقاذ، بحثا عن القشة: قشّتكِ، التي تعرفُ، وحدها، أنني منذور لهذا الغرق..

عندما قتلتُ كل وحوشي

عندما اجيئكِ، فاعرفي أني ذاهب عني.
عندما أذهبُ عني، فاعرفي أن بدلة بدني قد تهرأتْ.
عندما أتهرأ، فاعرفي أني قتلتُ كل وحوشي.
اعرفي أني لا أعرفُ كيف اشتعلتُ ولا أعرفُ كيف سأنطفئ.
اعرفي أني لا أعرفُ كيف صرتُ حمامتين على كتفيكِ.
اعرفُ أني لا أعرفُ كيف تجمّدتُ في شمسكِ.
أعرفُ أني لا اعرفُ كيف سلتُ من حجر إلى حجر متسلقا نبعكِ في بعيد الجبال..
اعرف أني أعرفُ كيف سأتآكل في الانحدار...

اعرفي أني حملتُ حقيبتي على ظهر التساؤل
أعرفي أني قتلتُ الأجوبة.
اعرفي أني عرفتكِ في الجهل والمعرفة.
اعرفي أني وصلتُكِ لابثاً في مكاني.
أعرفي أني قبضتُ على كينونتي في رموشكِ.
أعرفي أني جردتني من العقل، وتلبّستُ حنانكِ.
اعرفي أني قبضتُ على الوهم وعلى الحقيقة.

أنتِ عشتار، وأنا سومر كلها

أعرفُ أن أمراضكِ هي الشفاء.

أعرفُ أن اضطراباتكِ تبعثُ الهدوء، وأن زلزال حزنكِ يُشعل الموسيقى في روح الكمان.

أعرفكِ كوباء، كوباء يصيبُ الكراهية بالشلل، ويمزقُ أورامها.

أعرفكِ مثل قشّة، مثل قشّة صغيرة جدا، تحملُ العالم،على ظهرها، ساعة يفورُ التنورُ، ويندلع الطوفان..

أعرفكِ، أعرفكِ..

أصيحُ: أعرفكِ، كلما غزاني القنوط.

كلما قالوا: إنكِ امرأة لا قلب لها، قلتُ: إنكِ امرأة ومَلاك، ومَلاك أنتِ وامرأة، وأنتِ عشتاري، وأنا سومر كلها: أنا شعبكِ وأنا بلادكِ.

كلما احتلني الليلُ، صرختُ: أعرفكِ، كما يعرفُ القنديل شعلته.

أعرفكِ كما تعرفني الهشاشةُ، كما تعرفني القوةُ، كما يعرفني الضعفُ، كما يعرفُ العشّاق قصائدي التي تحبكِ عن بعد، وكما يعرفُ الجميع اسطورتكِ: يا منامي، يا يقظتي، يا إلهتي، يا صبيّتي، يا امي، لكن، آه..

لا أعرفكِ صرتُ.
صرتُ لا أعرفُ كيف أعرفكِ.

مَن أنتِ؟!

آهـ. . .
لقد أنتظرتُ أن أصلبَ بين ذراعيكِ، لأذهب إلى الجحيم بقلب أبيض.
انتظرتُ أن أحرجَ العَدل، وأن أضع الملاك مع الشيطان على المحك.
انتظرتُ أن أتدلى من رموشكِ كدمعة لألتحق بالسواقي، أو أن أضيع، مثل حسرة، بين أصابع الينابيع.
أنتظرتُ أن أحطّ، مثل عصفورجريح، على كتفكِ الأيسر، أن أطير نحو كتفكِ الأيمن،أن أسقط قتيلا بين أحضانكِ
انتظرتُ أن أبقى عليلا لأنكِ العلة.
لم انتظر أن اكون هذا التائه، هذا التائه، الذي يكتبكِ كلما عثر على حسراتكِ بين الكتب، أو على الأرصفة. .

أيتها المتسكعة العظيمة، يا مفقودتي، يا نفسي،
قفي مع نفسكِ مرة.
توقفي، أيتها المتسكعة في داخلي، ودعيني أطوف حول دواخلكِ مرة.
اريدُ أن أعرفني هناك.
اريدُ أن أراني مترنحا في شوارع قلبكِ:

لقد طردني العالمُ من العالم، ثم طاردني العالم حتى وأنا خارج العالم.

احتاجني هناك في مرايا سرابكِ:

كوني عادلة، واتركيني ألعبُ لعبتي الأخيرة، فليس ثمة ما أفعله هناك سوى أن احبكِ.

تشرقين فتطيعكِ المعصية، ويصيرُ النثرُ شِعرا

كنتِ شجرة تنطلقُ منها الريحُ، وعندما تتيه العاصفةُ، ولا تجد مكانا تأمن إليه، بعد طوافها في العالم، تسندُ ظهرها إلى جذعكِ، وتنشرُ ريشَ أجنحتها على أغصانكِ.

كنتُ أعدّني حارسا لملعب عواطفكِ، عندما يضربُ البرقُ قنطرة عبوركِ إلى الحب وإلى المطلق، لأنكِ تمزجين المطلق بالحب، ومن بينهما تشرقين، بكامل قلبكِ، لتقولي: احبكَ..

تشرقين فتطيعكِ المعصية، ويصيرُ النثرُ شِعرا.

كنتُ أكرّسُ الحواس، كلّ الحواس، لأكثّفَ وجودكِ، الذي لا يُحد، في فواصل توصلُ بين غرائزكِ وبين شغف الينابيع في أن تفيض على هواها.

كنتُ أضعُ أحشائي على طاولة الكتابة، لأنتزعَ من دمي، الذي كنتُ تسيلين معه، كلمة شافية: كلمة هي مفتاح، لو خطر للحياة أن تبقى مصرّة على أن نعيش داخلها، مثل مَلاكين في قفل..

كنتُ أتشظى بين تجريد الجمال، وبين مثالكِ.

وكنتُ أمزجكِ بالجَمال، وأضيعُ بينكما.

أعرفُ ثمرة لا تفكر أن تخون الغصن، هي أنا.
أعرفُ غصنا اقتلعته الفأس، بضربة محكمة، من مكانه، هو أنتِ.
أعرفُ أن الثمرة لبثت معلقة في الفراغ.
لكنني أجهلُ ماذا حلَّ بالغصن.

سلكتُ نفسَ الطريق الذي أتيتِ منه

كنتُ مجروحا ومعافى، ومريضا كنتُ، وكنتُ سكراناً وصاحيا:
كنتُ اريدُ أن أعرفَ كيف كان يفكرُ الترابُ، وأنت تزرعين خطواتكِ عليه؟ بماذا تشعرُ الأرضُ، عندما تخفقُ روحكِ فوق أطراف ثوبها، وماذا تقول الشمسُ، بماذا تلتقي ممراتها عندما تخترقُ أشعة رأسكِ؟

كنتُ حريصا على أن الملمَ حسراتكِ التي زرعتْ بصماتها على الغبار.
كنتُ حريصا على أن أشمَّ لهفتكِ في الهواء، في المطر، في العاصفة، وفي البرد.
كنتُ حريصا على أن أنهبَ وجهكِ، مثل ثمرة، من شجرة العالم.
كنتُ خائفا، ومضطربا، وكنتُ أفركُ شجاعتي ببريق ضحكتك..

سلكتُ نفسَ الطريق الذي أتيتِ منه، ومشيتُ:

كان اليأسُ يصلُ مبكرا، وكنتُ أتعمّد التأخير، متنعما بالأمل مرة، وبالوهم مرات.
ومشيتُ: مشيتُ طويلا، مشيتُ في كلّ مشي، مشيتُ في الوقوف وفي كل هلاك، في كلّ فريسة، وفي كل يأس.

تسلقتُ همّا من الجبال، هبطتُ ظلاما من الوديان، سبحتُ في دمعةٍ

كالنهر، وعاليا طار بي الدخانُ: قطعتني كلّ مسافة، رغم أني أعرف تماما أنكِ لم تتركي إشارة تدلّ عليكِ.

آهـ...

لا إشارة منك أو عنكِ أو عليكِ، حتى توّزعتُ هنا وهناك، وصرتُ كثيرا..

الرسولة

ينتظرونكِ في مفترقات الطرق، على نور الفوانيس والشموع، وأحيانا . . عندما يشتدُّ الظلامُ، عندما يستولي الخوفُ على نوافذ أحلامهم، يمشون إليكِ على ضوء خواطرهم.

قديما جدا خلعوا عليكِ ملامح الرسولة: أنصتوا إلى صوتكِ في المطر، ركعوا لجمالكِ في البرق، قالوا: هي التي بإمكانها أن تغلق البابَ على الموت، وأن تعيد العاصفة إلى وكرها، فانتخبوا لكِ الأسماء والصفات، وقدموا لكِ الأضحية والنذور في كلّ موسم:

هياكلهم العظمية على المصاطب، في محطات القطار، في الأنفاق، بين الفراغات التي تتركها الطيورُ المسافرة في السماء، وأرواحهم تلوّح إلى طيفكِ البعيد، إذ يخترعون لكِ أخبارا، يتناقلونها في المزارات وفي المعابد، في الشِعر والأغنية، في الحانات، في المدن وفي الفنادق . .

ينتظرونكِ، ينتظرون أن تفاوضي القدرَ، أن تنجزي ما لم ينجزه الأنبياء، الشعراء والفلاسفة:

لماذا نمشي حاملين الموت على ظهورنا؟!

وإلى أين؟!

لماذا الغبار، كلُّ غبار العالم، على النوافذ؟!

لماذا هذه اللامبالاة من الملاك، وماذا ذهب ليعمل الشيطانُ؟ لمَن تركَ وظيفته؟!

ربما راودهم الشعورُ بأنكِ محضُ اسطورة: كائنٌ من كلمات، غير أن الوهمَ بأنكَ امرأة حقيقية: صبيةُ الأحلام والشِعر وبطلة الروايات، وشاشات السينما، يجعلُ منكِ أملا من أجمل ما يكون، وهو ممّا يجعلهم يقرؤون كتبا غير مكتوبة، يعاقرون عاداتٍ مريبةٍ: يستضيفون الأشباح، يعانقون المحن، ويطيرون في الهواء..

ربما توقعوا أنكَ قد سُجنتِ.

ربما وقعتِ في شرك ساحر، بنظرة منه تحوّلتِ إلى جماد.

ربما أغتصبتِ في نينوى، أو صُلبتِ في أور، أو دُفنتِ حيّة تحت التراب.

ربما نجوتِ من مجزرة، فوقعتِ في مجزرة اخرى، فالتاريخ نساءٌ ومجازرُ.

ربما سلبكِ قطاعُ الطرق كلّ شيء، فمشيتِ مجردة نحو المطلق.

ربما..

لا يهم!

لكنهم يأملون أن تقدّري معنى أن تكوني في قلب التوقعات، بطلة التكهنات وقراءة الطالع و النجوم.. ولذلك يتخيّلونكِ متأهبة لأداء المهمة،

فليس إلا أنتِ، وسيّان إن كنتِ حقيقية أو امرأة من كلمات، مادمتِ قادرة على تجسيد أحلامهم: أن تباغتي الآلهة، أن تُلفتي الأنظارَ إلى محنة الجوهر:

لماذا يتفلتُ البلورُ،
مَن يقف وراء احتضار الشكل،
وكيف يفكرُ اللمعانُ في عقل اللؤلؤة؟

لا..

ليس ضروريا أن تحصلي على جواب، أو أن تبرمي اتفاقا يعفينا من ضريبة العيش تحت سقف الاضطراب، فأنتِ تعرفين أن هذا الانتظار هو محضُ هراء، كما أن رحلتكِ الخرافية هذه، رحلتكِ التي ابتكرتُها، وأنا حزينٌ وخائبٌ، وأنا سكرانُ ومفلسٌ، هي من أجل أن تُقلقي القدرَ في عزلته الباردة، أن تهدّدَي بقبضتكِ، أن تصرخي عاليا، أن تفاوضي، أن تناقشي، أن تجادلي اللا أحد الذي هناك، وأن تجري دموعُ البشر الحارة من عيونكِ، حتى آخر دمعة.

ثانيا
كيف تكتب قصيدة نثر؟!

«أنتَ، أيها الإبن الملكي: أخي يا صاحب أجمل وجه، لسوف تصير إلى نهاية، لسوف تصير إلى نهاية، لقد كُتب عليكَ شرُّ المصير. .

حبيبي، يارجل قلبي، أنتَ: لقد رتّبتُ لكَ شر المصير، يا أخي صاحب أجمل وجه. .

لقد لامس ثغرُكَ ثغري، وضعتَ شفتي على رأسكَ، لذلكَ كُتب عليكَ شرُّ المصير. .»

إيننا / عشتار تخاطب ديموزي، قبل بداية مأساته، كما جاء في قصيدة سومرية

معنى أن تكون شاعرا . .

عندما تجلسُ بين يدي نانشه[1]، سيباغتكَ النسيانُ فجأة، فلا تتذكر وجهَ الصبيةِ التي رأيتَ، ولا الذي حصلَ لكَ معها في المنام: ستتبخرُ الوردةُ التي أعطتَها لكَ بيد، لكن طعنتها بالخنجر، بيدها الثانية، ستلبثُ أبدا، مزروعة في أرض قلبكَ.

من الصعب أن تدركَ، ساعتها، أنكَ انفصلتَ عن الزمنِ، أنَّ سِحرا آخر يُفلتكَ من أسر ضعفكَ البشري، وأن الطريق الذي سلكتَ، أنَّ الأهوالَ والمهالكَ، التي خرجتَ منها هيكلا عظميا، قد اختفتْ من ذاكرتكَ أيضا، فيما نانشه تتصفحكَ مثل كتاب، تنظرُ إلى وجهكَ المغبرّ بوقار، ولؤلؤةُ ما تشعُّ في داخلها، سرعان ما تثبُ من مقاطع كلامها لتستقرَّ بين يديكَ.

لستَ مضطرا لأن تروي لها ما رأيتَ، لكن وجودكَ في حضرتها لابدَّ أن يكون مبرّرا، وليس أمامكَ إلا أن تبتكرَ مناما آخر، حُلما مُقنِعا، يجعلها مجذوبة إلى جوهركَ، الذي من عروقه تتشعبُ الجواهرُ، كي تستخرجَ عدّتها الثمينة من الألغاز والتيجان والرموز، ولتخبركَ أنَّ ما رأيتَ لم يره أحدٌ من قبل، غير أنه يستحقُ عناءَ أن تكون عليلا يجهلُ ما علته، أو عارفا يعرفُ أن معرفته مرضٌ لا شفاء منه.

---

(١) نانشه: إلهة سومرية، وظيفتها تفسير أحلام الآلهة. .

عندما تخرجُ منها، ستجدُ نفسكَ أمام مهمّة آخرى، لا أعذبَ منها، ولا أشقّ: أن تبحثَ عن امرأة حلمكَ الذي ابتكرته، امرأة منامكَ الغريب الذي لم تره، وأن تحققَ رؤياكَ، كما فسّرتها لكَ نانشه، ولا سبيل إلى ذلك، لا سبيل إلى القبض على مستحيلكَ الخاص إلا بالشِعر، إلا بهذا: إلا بأن تواصلَ انفصالكَ التام عن الزمن..

خارج الحدس وخلف التوقعات

لستُ مَن يفتحُ لكَ، وليس هذا بابي: لا أسكنُ هنا، كما أنَّ الطرقَ الصحيحة، كلّ الطرق والإشارات التي تؤدي إلى مسكني، تنتهي من غير أن تفضي إلى مكان.

أنا فكرةٌ أقدمُ من الأفكار، لا أعرفُ مَن أطلقني.

لي في كلّ بحرٍ، في كلّ نهرٍ، في كلّ نبعٍ، في كلّ شريانٍ، في كلّ نسغٍ، قطرةٌ، لكن البشرَ، وحدهم، جسّموني على هيئةٍ من لحم ودم.

قالوا: في شوارعنا تمشي، وعلى أسرّتنا فقط تنامُ هذه المرأةُ، التي من ثدييها يرضعُ العالمُ حليبَ طفولته، و يخضّبُ أرضَ رجولته بسماد غريزتها، فأعطوني في كل مدينة اسماً، حتى صرتُ قبيلة من النساء، تتفرّعُ مني قبائلُ وبلدانٌ:

تحترقُ بإسمي مدائنٌ، تنهضُ حضاراتٌ، وأنا هنا وهناك، خارج الحدس وخلف التوقعات، اواصلُ هبوبي من كل مكان .

صرتُ عدّة أقفال، وأنا مفتاحٌ واحد، لكن هيهات: لا وجه لي.

أسيرُ ضائعة بين تماثيلي الكثيرة، بين عشاقي ومعابدي، بين الحانات والمقاهي والميادين وساحات المعارك، وأقرأ شِعرا لا يمسُ انساني الداخلي، فلستُ امرأة بعينها.

إن مرَّ طيفي بروح هذا، أو مسّ خاطري قلبَ ذاك، إن تنقلتُ بين الصعاليك والأنبياء والشعراء، فلأن مَن فطرني قدّر أن أبحثَ، في أعماق هؤلاء، عن كينونتي.

لستُ عصيّة ولا ممكنة، ومَن أغرم بي، مَن صيّرني عاهرةً طائشةً في كلّ ميناء، مَن عبدني آلهة في الأديان، أو مَن نحتني أمّا تهدهدُ منامه، فلأنه لا يجد إجابة عن مغزى وجوده:

يكتبُ نفسه مَن يكتبني، لأنني خالدة لا أموتُ.

القلبُ المكسورُ يأنسُ بدفئي، و الأعمى يستطيعُ، وحده، أن يراني..

كنْ عاشقاً عالمياً، كالتراب..

يمنحكَ الطينُ حرية أن تخلقَ منه تمثالا: يعكسكَ عاشقا هائما في حب صبية رأيتها في منام، ثم تجلّت لكَ عارية كالصباح، فاصنعه هشّا: سهل الكسر مثلكَ، لكن من الصعب تقليده.

مَن سواك يعرفُ
أن حبكَ ينحدرُ من هذا التناقض بين الحقيقة والخيال؟
مَن غيركَ يعلمُ يقينا أنه ينحدرُ من هذا التوافق أيضا؟

إن خطرَ لكَ أن تصلي خاشعا لصبيتكَ المختارة: معبودتكَ الطائشة كإطلاقة لا تصيبُ أحدا، لأن لها منطقها الخاص، فدعْ تمثالكَ يسجد، إنما بشرط أن يبقى رأسه مطروحا، بلا حراك، على الأرض، بعد القيام.

اتركْ جذعه، بعد الركوع، ممتدا مثل جسر، ليعبر كلُّ آهات العالم إلى تلك الضفة، الضفة الاخرى، التي لا تُرى من كلّ نهر، وحين ينتهي من الدعاء ليكن هشّا بما يكفي لأن تنفصلَ عنه اليدان.

لقد نفختَ من روحكَ في التمثال، فكانكَ.

آه، النثرُ كالطين، إن ذهبتَ به إلى الشِعر: يمنحكَ أن تخلق منه ما تريد إن نفختَ فيه ما نفختَ في التمثال من روحكَ.

حاذرْ أن تتلبس أفقا ليس فيكَ منه شيء: لا تكن رومانياً، فارسياً، أو بوذياً أو..

اكتبْ نفسكَ دائما:
وكن عاشقا عالميا، كالتراب.

أنبتُ ورداً بين أقدام تماثيلكِ

كان أتونابشتم[1] يلعنني، وهو يجمع الأخشاب، من غابة الخيال، ليصنع السفينة، وكنتِ تمسحين دموعي كلما فكّرتُ في التوبة، لأنني أكلتُ كلَّ تفاحاتكِ، ولأنكِ كنتِ سخية بما يكفي لأن ينصرف الشيطانُ إلى أعمال اخرى، كما أنكِ كنتِ وقحة، طفلة وقحة، بما يكفي لأن يتوقف الملاكُ عن ملاحقة ما يفيضُ به جسدكِ من حرائق مباركة.

توقعتُ أن أسقطَ، لأن أتونابشتم كان غاضبا.

كان ساخطا كأي صياد نبيل، مزّقتْ شِباك أفكاره سمكةٌ طائشة، وكلما فكرت في العودة إلى أحضانه، كنتِ تفكين أزرار رغبتكِ، فيندلع القميصُ، وتفيضُ الأنهارُ، الترانيمُ، والمشاعلُ..

وعندما هبّ مصيري، كما إعصار، وجرفَ الطوفانُ كلَّ شيء: عندما ارتفعتْ درجةُ حرارة الظلام في العالم، كنتِ عارية، عارية جدا، بما يكفي لأن ينفجر البرقُ في داخلي، لكنني كنتُ هشا: كنتُ هشا بما يكفي لأن أكون إنسانا، لان أموتَ غرقا في الحب، ولأن أذوبَ شيئا فشيئا، ثم أترسبُ مع الغريّن، هنا وهناك، حيث سأعودُ ثانية، لأنبتَ ورودا، لا شكلَ لها، بين أقدام تماثيلكِ..

---

(١) أتونابشتم: نوح البابلي، بطل اسطورة الطوفان.

الشرارة

صنعتِ لي مصيرا شائكا عندما منحتني امتياز أن أسكنَ تفاحتي صدركِ العاريتين، أو أن أتغلغلَ عميقا في براري بطنكِ: أن أرتفعَ مع ساقيكِ، وأن التقي بكينونتي، عندما، بذراعيكِ الحجريتين، تنادمين رأسي: تمسحين وجهي برفق، وأنتِ تتأوهين، لينتشر عطرُ لهيبنا على كون من المعابد، ترتعشُ حتى جدرانها من اللذة التي تمنحين.

الذكورُ يتحولون إلى اناث، والاناث يصرن آلهات، وأنتِ طائشة هنا، أو عذراء هناك، تنهبين الزمنَ، وتكسرين زجاج نوافذ الوقت، كأن العالم الذي تريدين هو هذا الإبحار في الجسد إلى ما لانهاية.

قبلكِ كنتُ مَلاكا.

كنتُ ملاكا هبط من السماء بالرسالة، لكنني لم أجد أحدا في الموعد. الكلُّ سكارى، وكلّ السكارى وصلوا إلى الموعد ولم يجدوني، لأنني رأيتكِ، فتبخرتْ أجنحتي من الدهشة، ونسيتُ الرسالة.

آهـ. . .

الرسالةُ أنتِ.

أيقنتُ أنكِ الرسالة عندما طاردوني بالحجارة، وعندما رميتني بوردة،

فتنفستُ قُدس بدنكِ، حتى انتشيتُ، وقبضتُ، بقوة، على هلاكي معكِ.

صرتُ روحكِ، وبيتي صرتِ.
بيتي صرتِ، وملاكي.

صرتِ الغاية، وصرتِ لا منطقية الوسيلة.

أعرفُ مآلي يا حبيبتي، يا طفلتي يا معبودتي، لأنني كنتُ ملاكا يعرفُ معنى أن يُقتل المحب والمحبوب، حسب توقيت الحب في المدن السومرية، لكنني سألبثُ داخلكِ، متنعماً بالنظر إلى جمال الإنسان حين يكون عاشقا، حتى آخر نشوة يغدقها عليَّ خيالُ هذه القصيدة:

ذات يوم، أعرفُ ذلك حقا، سيصعدُ أحدهم إلى المنصة بفأسه ليحطم تمثالكِ.

أعرفُ ذلك.
أعرفُ أيضا أنني سأتمزقُ، كما تتمزق روحُ النار أمام عاصفة العالم، لكنني لن أكون نسياً منسياً: لقد أشعلتِ الحريق يوما هناك، ومن هناك انطلقتُ حاملا رسالتكِ، أنا الشرارة.

عندما سقط العابد والمعبود

صبيةٌ خلقتني: أنا الواقفُ الآن، على حافة هاويتي، بانتظارها. جمعتني من طين الضفاف: من طمث الفرات، ومن غرين دجلة، ثم أشعلتْ من حولي نارا، وفخرتني، حتى صرتُ شيئا لا اعرفه.

صرتُ شيئا يعرفني، قبل أن أعرفَ.

وضعتْ رأسها على صدري، فنبض شيءٌ في داخله، وأشرق وجهي، ثم نفختْ في داخلي من عطر خيالها، قائلة: «كن ما اريدكَ»، فكنتُ، ولم أعد طينا، رغمَ أنني، في نفس الوقت، كنتُ طينا، لكن صلواتها كشفتْ لي كيف تهبُّ الأعاصيرُ من الجسد، كيف يتحوّل الكونُ إلى ريشة، وكيف تحصل انقلاباتُ الروح، في هذا العالم:

. . وصبية أخذتني:
قادتني إلى المعبد، تعرّت لي، وعانقتني.

صبيةٌ قالت: أعبدكَ، وعبدتني، فصرتُ إلها:
صرتُ إلها يعرفُ أنه لا يملك أن يكون إلا إلها لأن صبية قالت له: «أحيا، لإيماني بكَ»، لكنني كنتُ أتهشم من الداخل.

كنتُ أتفتتُ مثل إله من طين يعيشُ في جنة من النساء والبخور والفواكه: عند أقدامي تتضرعُ الامهاتُ، ويبكي أقسى الفرسان على أكتافي، وأنا من أجلها، من أجل حضورها، من تضرّعاتها، آمنتُ بي، فصرتُ العبُ دوري المعقد في مسرح خيالها: العبُ نفس لعبتها، وأشتعلُ من غليان شهوتها.

صرتُ احبها.
احبها صرتُ لأنني لم أكُ شيئا، لولا أنها قالت: احبكَ، فكنتُ.

قالت: احبكَ، ثم قالت: احبكَ.. يا إلهي، وركعتْ لي عارية، أمام الناس، فتحرّك بي نبضٌ غامض: تكهربتُ من فوري، وسجدتُ.

لي قلبٌ بلاشك، وإلا لماذا شعرتُ بالذعر عندما سقطتْ أور، فجأة، ودخل الغزاة إلى المعبد، حاملين معهم آلهتهم؟

احبها بلا شك، وإلا لماذا بقيتُ لابثا في مكاني، بعد أن فرَّ زملائي، من المعبد، واحدا بعد الآخر؟

سأنتظرها: لابد أن تجيء.
أعرفُ ذلك، كما أعرفها وكما أعرفني،
آهـ...
لقد سقط العابد والمعبود فيما بيننا.

لن أخرج.

أعرفُ أنَّ ثمة أديانا أخرى، في الطريق ستأتي، لكنني سألبثُ واقفا في

مكاني بانتظارها، هي التي كشفتْ لي خفقاتُ قلبها سرّ التحولات في طين العالم:

ذات يوم سيصل أحدهم، أتوقعُ ذلك، وسيحطمني بفأسه، لكن روحي، أبدا، سترفرفُ حول حطامي، الذي لن يخون تلك اللمسة الشاعرية، ليديها. .

الحب، حسب التقويم السومري

بورتريه أنكيدو

كنتُ جالسا في غباري.
كنتُ غبارا يجلسُ في غباره.
كنتُ في العطش، وفي الحيوان.
وكنتُ لا أعرفُ الجسد، لا أعرفُ أحدا، ولي مملكتي من العشب، وحريتي التي من الرمل.

نسيتُني فجأة، عندما تعرّت أمامي، وتعرّفتُ على آخر كان يعيش في داخلي.
كان يعيشُ في داخلي آخر، وكنتُ أجهلُ انني مأوى أو ملاذ. كنتُ أجهلُ أني بيته، وأن عينيَّ هي نوافذه.
تعرّت لي، وتعرّيتُ رغم أني كنتُ عاريا أصلا، غير أنني في عريي الثاني كسوتُ جسدي برقا خاطفا، حتى فرَّ مني ما لا أعرفه، وسكرتُ من شدة النور، ومن الرعشة.
دخلتُ العالم سكرانَ، وهي أمامي تمشي عارية في كل مكان، ثم تبخرتْ، بغتة، مثل دخان، وضاعت مني في الزحام، فصرتُ غريبا في العالم.

سرقتني مني.
أغوتني، وسرقتني مني، فقام الجدار بيني وبيني.

قام الجدار فتهدمتُ.

لا تصدّقوا ما في الألواح:
لستُ بطلا.
كيف يكون بطلا مَن خسر كينونته أبدا؟!

أنا أنكيدو
أنا هزيمة البراءة.

أنا المعرفة الأولى، أنا الذي تتعاقب عليَّ عصورٌ من الوحدة، وقرونٌ من الظمأ، ، أنا الذي يطوفُ الكتبَ، والحارات والمدن، أنا الذي يخترق شاشات السينما، بحثا عن المرأة، تلكَ المرأة الهاربة في الزمن، بعدما سرقتني.

أغنية فقدانكِ

خرّبتكِ قدرَ عنايتي، وأعطيتكِ دورَ الكتفين، لكن رأسي كان مخبولا فلم يستقرَّ بينهما.

الآن
أكتبُ اغنية فقدانكِ، موزعا صرختي بين سطورها، من مقطعٍ إلى آخر، مثل ماء لا يؤكد وجوده إلا بالانتقال من يدٍ الى يدٍ، حتى يُصبح قطرة. .

سأذهبُ خاليا، كما يذهبُ الزمنُ.
سأبتعدُ كما يبتعدُ البُعدُ عن نفسه،
وسأنسحبُ كما ينسحبُ الفراغُ، عندما يصطدمُ بأصوات العابرين صوب بشاشة عزلته، لكنني سأذكرُ اسمكِ، هناك، حين تدقُ الساعاتُ في الأبدِ.

كنتُ خيطا يبحثُ عن نور، وكنتِ نورا يبحثُ عن خيط، فاتحدنا لنؤلف شمعة.

في الشمعةِ عرّيتكِ، ولم أتعرَّ، لأنني كنتُ وعراً بما يكفي لأن أكون شبحا، لكنني دخلتُ.
يا جميلتي،
يا عاريتي، يا طفلتي:

أسمعُ الهة سومر تهدهدكِ في المهد، وأتنهدُ.

أنتِ ثروتي الأكيدة.

أنتِ كلُّ ما نهبتُ من حياةٍ يرفسها الزلزالُ، بين مرةٍ ومرةٍ، غيرأن الحروب، غير أن الإفلاس، غير أن..

آهـ...

لأنكِ شاسعةٌ لن يجدكِ أحدٌ، إلا كما يجد الفارسُ، ساعة سقوطه، ساحة المعركة.

لا مفرَّ لكَ . .

صعدتُ، وخرّبتُ وجهها الفاتن: كسرتُ هامتها، وانحنيتُ لألملمني.

قبل ذلك ذهبتُ إلى الشرقِ، وعدتُ من الغربِ: ذهبتُ لآتي بغيرها، لكن غيرها، عندما وصلتْ، خلعتْ ثيابها، ومشتْ عارية نحو المعبد، كما فعلتْ سابقتها.

جمعتُ الترابَ من كل أرض: جمعتُ الترابَ والمطرَ والعشبَ: عجنتُ الترابَ والمطرَ والعشبَ بأنفاسي وبخواطري، وصنعتُ من العجين امرأة، لا على مثال، وانتظرتُ أن تنضج تحت حرارة الشمس، أن ينمو جسدها مع العشب، حتى اكتملتْ، وتسللَ إلى عروقها الملحُ، فنطقتْ، أول ما نطقت: «لا مفرَّ لكَ»، ورأيتها تمشي، تخلعُ ثيابها مع كل خطوة، ثم تدخلُ المعبد، فتضاجعُ الكهنة والمغنين والحرّاس والصبية، ثم تتركُ الجميعَ منشورين، عراة، على حبل رغبتها، لتنام عارية بين النساء.

صعدتُ غاضبا، وطعنتُ قلبها، فأنّتْ بعمق، حتى شعرتُ بأن أحشائي قد اشتعلتْ بنار أحشائها، فركعتُ وعفرتُ وجهي وجروحي بترابها، منتظرا أن تشنقني بحبل غفرانها الذي سيسحل هامتي، فأختلطُ بشظايا هامتها. .

لم تغفر بعد، لكنها قالت: «لا مفرَّ لكَ».

كان عليّ أن أهربَ منكِ

كان عليَّ أن أهربَ منكِ، ولمّا حصل ووصلتُ إلى مناطق ليست مأهولة بضواحيكِ، لم أجد ما أفعله، فابتكرتُ امرأة اخرى، لكن ذلك كان عبثا، فما ابتكرته كان أنتِ. .

كان أنتِ كلّ ما ابتكرتُ، وكلُّ ما حطمتُ كان أنتِ.

قلقٌ يمزّقني أنتِ.
ألمٌ لا أعرفُ مصدره، وجَمالٌ يهطلُ بأمطار حزنه في حوض راحتيّ، أنتِ.

أبتكركِ يوميا وأنتِ واحدة.
واحدة أنتِ، وعندما اجرّبُ أن أطلقُ عليكِ اسما تتعددين، فأتيه في تعددكِ، ثم يضيع اسمكِ.
أهربُ من هربي منكِ، لكن هربي يأخذني إلى متاهة أطوارِكِ: أدخلُ مدينة غريبة، فأجدُ عشّاقها يعرفون اسمكِ، الذي تمكنتُ من ابتكاره في مدينة اخرى.

أعثرُ على نومكِ في نعاس القناديل، وأقرأ أحلامَكِ في كتبٍ لم تُكتب بعد.

اقابلكِ، كلما أقفلتُ عليّ بابَ الحواس:
كلما شطبتُ على طولكِ يأتي ظللكِ، محروسا بطولكِ..

إذا طردتُ وجهكِ من مخيلتي يهجرني الخيالُ.
إذا كتبتكِ في اليأس، تشرقين في الفرح.
إذا مزّقتُ ما كتبتُ أتمزقُ، كأن روحي هي الورقة.

أصيحُ: لا احبكِ، فيعتري الهواءُ الشللَ: تتوقفُ الغيومُ، وتجمد الفصولُ.

أهربُ من رحابة جمالكِ، من تجليكِ، إلى رعب الكتابة، فأجدكِ تنتظرين أن أكتبكِ كما تشتهين: امرأة لا حدود لها، فأعرفُ أن هلاكي يوشكُ أن ينحدر من تلال جنونكِ المترامية الأطراف، وأن جحيما من الشِعر ينتظر أن أصوغكِ، مرة بعد مرة..

في الصباح أجدني نائما عند أقدامكِ

ابتكرتكِ على أمل أن أضعَ كلّ خبرتي في مشروع تحطيمكِ لكنني أخفقتُ، لأن هذا الأسى، هذا الجَمال، هذا الغامض الذي يرتسمُ على وجهكِ، لا يعبّر إلا عن انفعال عصرٍ بأكمله، كما أن تناقضاتكِ لا تعكسُ إلا نمطا مدهشا من التوافق.

لهبٌ أزرق، وموجةٌ:
رعبٌ ودهشةٌ وغليانٌ، أنتِ.

صبيةٌ أنتِ وأم:

في اسمكِ هلاكي، وما ينقصني إلا البرهان على أنكِ فكرةٌ عن امرأة، لا امرأة بعينها، فما يفيضُ عنكِ هو النبعُ، رغم أنكِ قطرة في مجراه: تملكينني وأنا ليلٌ هجره خلانه، ولا أملككِ إلا عندما تكونين حجرا أرميه، فلا يصنع دوائرَ على الماء .

أفقدكِ في اقترابي، وفي اقترابكِ تفقدينني:

قادني حبُكِ إلى الحب، وقادكِ حبي إلى الحرب، وأنا احبكِ لأنكِ هكذا: السنبلة بيد والمنجل بيد، لأنكِ أحزانٌ ليست متداولة، وأفراحُ طفولة لا يشعر بمذاقها إلا الكبارُ.

حنانُكِ يؤلمني، ويأسُكِ يصنعُ مني باسلا في الإطاحة بالأمل.

أخونُكِ، أنا الوفي، وأخلصُ لكِ أنا الخائنُ:

أعيشُكِ متذمرا وراضيا، ساخطا وهادئا: أعزمُ على تحطيمكِ في الليل، وفي الصباح أجدني نائما عند أقدامكِ.

عرّافة أور[1]

نافذةٌ تنفتحُ في منامي يطيرُ منها عصفورٌ فأتبعه، حتى أصل عرّافة أور، زحفا على ركبتيَّ، أسألُ عن القوس، ففي ظهري طعنة حصلتْ قبل أن تنطلق أول نبلة في العالم.

ـ ليس خليقا بكَ أن تتبع عصفورا لا يفقه الألم، فخيالكَ مجرة. مع ذلك لا تقنط، عُدْ من حيث أتيتَ، وافتح نافذة بعد اخرى، حيث لابد أن تنطلق نبلتكَ الحقيقية يوما.

تقول العرافة.

(١) اور: عاصمة سومرية معروفة، حيث مسقط رأس الشاعر.

تفرّق الناسُ وما تفرّق عطره

وقعتُ في حبه عندما قال الناسُ: إنه قادم، وأشاروا إلى جهةٍ، ليست بين الجهات، حدسها قلبي لأنه سمعَ خفق قلبه يأتي منها.

نطقوا بإسمه، فسال حنيني، توهجتِ الرغبةُ مثل شمس كبيرة، و شعَّ جسدي، فسطعَ البيتُ، وانتشر الشعاعُ من الحيطان، من الأبواب ومن النوافذ، حتى غمرَ سومر بأكملها.

كلُّ امرأةٍ مسّها الشعاعُ سقط قلبها بين يديها، وركضتْ تسألُ عن أخباره الشطوطُ والأعشابُ والبراري:

تفرّق الناسُ وما تفرّق عطرُه. ضاعوا في الأسواقِ، وضعتُ في جَماله.

له ألفُّ ثديي هذا بورق التفاح،
وأطلقُ الآخرعصفورا
يحطُّ على كتفه .

تدّعي كلُّ امرأةٍ أنه كان نائما عندها ليلة أمس، وهو ينامُ عندي: لم أدعه يبرحُ البيتَ، مذ دخلَ طيفه في مدار منامي.

كلُّ امرأةٍ حملتْ منه وضعتْ حَملها، و وحدي التي حَملتُ به، فلم يولد بعد.

امرأة الطوفان

يقولون: إنها وصلتْ قبل أن يغيضَ الماءُ، وينحسرَ الطوفانُ، ولم تظهر إلا بعد أن توقفتِ السفينةُ.

ظهرتْ بعد أن نزلَ الناسُ:
بعد أن تفرّقَ الناسُ،
تجلّتْ.

رنَّ الزمنُ،
وارتعشَ خلخالُ العالم، عندما التفتتْ.

أضافوا: إن كتفيها كانتا عاريتين،
تلهثان، تحت الشمس،
كحقلي سنابل.

كانت يداها خاليتين إلا من خطين من الماء:
دجلة والفرات،
الفرات ودجلة..

ومما قيل عنها: إنها لم تقلْ شيئا عندما قذفها الناسُ بالحجارة، لكنها

عندما ركضتْ إلى الشرق أشرقتِ الشمسُ، وعندما راحتْ إلى الغرب سدّتِ الأفقَ غيمةٌ، أما الشمالُ فانسدلَ بينها وبينها على هيئةٍ من الجبل، فلم يبق إلا الجنوب، حيث متاهة الأهوار تغلقُ المنافذ بهواجس من قصب..

أوردتِ الكتبُ أخبارا كثيرة، منها:

أن اللعنة حلّتْ بسببها،

ففار التنورُ،

لكنها أبتْ أن تصعد إلى السفينة.

قالت معتذرة: سأمشي على الماء،

ومشتْ فوقه.

فوق الماء مشتْ، ومن أمامه ومن خلفه، وعندما أطلقَ الربانُ حمامته الأخيرة وحلّقتْ، حلقتْ عاليا: حلّقت عاليا، ولم تجد مكانا تحطّ عليه سوى كتفيها.

أضافت الأخبارُ: عندما حطتِ الحمامةُ، انحسرَ الماءُ، فجأة،

وظهرتِ اليابسة.

حمامة بيضاء، كحمامة بيضاء[1]

بعد أن انحسر الماءُ، وتوقفَ الطوفانُ، توزّع الناسُ في الاتجاهات، بحثا عن الحمامة، التي أطلقها الربانُ من السفينة.

حمامة، حمامة بيضاء، كحمامة بيضاء..

كلٌّ واحد شقَّ له طريقا، ومشى محروسا بهاجس الحمامة.
كلٌّ واحد اجتاز المحنة تلو المحنة،
حتى وصلَ إلى محنته الكبرى عندما عاد بالحمامة.

كلٌّ واحد عاد ممسكا بحمامته:
حمامة، حمامة بيضاء، كحمامة بيضاء..

كلٌّ واحد قال: وجدتُ الحمامة على كتف امرأة.
كلٌّ واحد ادعى أن المرأة صارت حبيبته.
كلٌّ واحد وجدَ سببا للحرب.
كلٌّ واحد قدّم حمامته.

---

(١) لا يخفى على القاريء أن هناك علاقة واضحة بين هذه القصيدة، وقصيدة «امرأة الطوفان» التي مرّت في الصفحة السابقة.

قال كلٌّ واحد: «هذه حمامتي»
فكانت تشبه حمامة الطوفان،
لكنهم
وجدوا سببا للحب، فجأة،
عندما وصف كلٌّ واحد منهم المرأة التي وجدَ على كتفها الحمامة.

قالوا: «إن المرأة التي..»
آهـ...

كلهم قدّموا نفسَ الأوصاف، والصور والمزاج و العطور والمعاني، لامرأة واحدة توزعتْ على الجهاتِ، ووقفتْ بانتظارهم، وعلى كتفها نفسُ الحمامة.

احبكِ، قبل أن يبتكروا الكتابة

سأبدو متأخرا عن الزمن وعن الحب، لو كتبتُ: احبكِ، لأنني أحببتكِ قبل أن يبتكروا الحرف: يومها كنتُ نطفة في ظهر المعابد، أُولدُ مع كل ترتيلة:

أنقذفُ إلى العالم مع كل صرخة من حناجر المدن السومرية.

احبكِ، كنتُ، قبلَ أن تحبو الحضارات، قبل أن يبتكروا الرماح من شكل أجفانكِ، قبل أن يبحروا فيحملونكِ فكرة تتشعبُ منها خواطرُ، خرائطُ، وبلدانٌ. .

كانت غريزتي إليكِ هي الدليلُ، وكلما أخطأتُ وجدتكِ أمامي وخلفي، فالمسافات صحراء و تيه، وأنتِ درسٌ من الوله، أسلكُ نحوه أخطرَ الشوق، لأسقط، أخيرا، في أصعب الحب.

أتلصصُ من ثقوب قدري إلى جمالكِ، الذي يجبرُ الناي على أن يحفرني ثقبا إلى جوار ثقوبه، فأعزفكِ طافيا، فوق مياه الطوفان، يائسا من النجاة، لكن يأسي كان أخضر الروح، وهو مما أراني الموتَ هزيلا.

ذلك مما رفعني نحو أعمق قيعانكِ : هو مَن رسمني خطوطا على تقاسيم

وجهكِ، وعند أقدام تماثيلكِ: يحملني الغزاة معكِ إلى معابدهم، فأتعددُ مثلما تتعددين:

تتنوّعُ أسماؤكِ، وأتنوعُ طورا بعد طور.

أحيانا

يعثرون عليّ وعليكِ في رقيم واحد: أكون خطاً، إشارة، وتكونين امرأة: يرونكِ ترفعين طفلا إلى ثدييكِ، لا يعرفون أنه أنا، أو ينظرون إلى وجهكِ، ولا يعرفون أنه قناعي.

رأيتكِ في البلدة التي لا اسم لها

رأيتُكِ في البلدة التي لا اسم لها، وليس لها في الخرائط من مكان.
كنتُ يقظا حين رأيتكِ، لكن دخانا من نعاس مرورِكِ أحاطني، ثم جاء النومُ بثوبه الأبيض، فنمتُ ورأيتكِ أيضا.

هكذا واصلتِ الخفاء والتجلي، وهكذا لبثتُ أبحثُ عن خيط ما قد يقودني إلى حلّ اللغز: لغز حنيني إلى ما هو غامض في الحنين الذي يشوبُ قسمات وجهكِ : لغز شغفي في أن أتيه في مجاهل مرورِكِ الخاطف أين ما ولّيتُ وجهي، لأن وجهكِ يشرقُ، دائما، من جهة غير متوقعة: يطوفُ بي في أماكن غريبة، في مدائن لم تخلق، وفي أزقةٍ تتلوى حياتي في منعطفاتها، فلا أخرج منها إلا وقد أضحيتُ غريبا: لا أعرفني، رغم أن أبطال الروايات، العشاق المرسومين على أقمشة اللوحات، وقتلى الحب على شاشات السينما، يعرفونني تماما..

أحيانا،
تحت المطر، وفي البرد، أعثرُ على يديكِ في جيوب معطفي.

يحدثُ، أحيانا، أن أجد وردة قرب وسادتي، فأتذكرُ أنكِ رميتِ بها نحوي، وأنا في المنام، كأنكِ اخترقتِ الزمن، عبرتِ العصور، وكسرتِ

حاجز النواميس، من أجل أن تحرثي أرض قلقي: من أجل أن ترسمي بصمتكِ الخاصة على جدران وجودي، أو من أجل أن أتجاوزني لأصل إلى النقطة التي يصبحُ فيها اللاشيء كنزا لا يفنى.

هل أنتِ المرأة التي أحبُ؟

المرأة المستحيلة:

ساحرتي المتخيلة، طفلتي، ومأزقي الذي أجدني من خلاله شاعرا كلما أعطتْ شجرةُ اليأس ثمارَ القنوط، وعاكستني الظروفُ؟

هل أنتِ بهجتي التي، رغما عن الطوفان، تؤدي رقصتها على يابسة لم تصل إليها الحمامةُ بعد؟!

آه، في البلدة التي لا اسم لها رأيتكِ، ورأيتُك رغم أنني لم أكن هناك: تبعتكِ رغم أنكِ مثل طيف، يمرُّ من خلالي، وأتشعبُ من خلاله: أصيرُ شعوبا تسيرُ خلفكِ، وأنتِ إلى اللامكان تذهبين، فتنقلين معكِ الأمكنة، الطرق، البشر، ومن الرحيق الذي ينشره مرورِكِ تولد قصائد عاثرة الحظ مثل قصائدي: تولدُ مصاطب لعشاق ينتظرون شيئا لا يفهمونه، وتنبجسُ، من بين أقدامهم الضائعة في الغبار، ينابيعُ من الدهشة سرعان ما تزول بزوال رحيقكِ...

اغنية هي التي . .

هذا الكرسي الذي لم يجلس عليه أحدٌ، أحتفظُ به في أعماق هذه الاغنية، من أجلها هي التي تعربدُ في جسدها رعشة الأبدية . .

هي التي إذا سافرت إلى الشرق نهض الغربُ لإستقبالها .
هي التي توارت خلف الأسماء والمعاني .
هي التي سمّم جَمالها خيال سومر بداء العبقرية .
هي التي عندما يفكرُ فيها النسرُ يصير فراشة .
هي التي إن فتحتْ نافذة تغيّرتِ الامواجُ على سطح البحر .
هي التي لطخوا عُري براريها بحوافر التقاليد .
هي التي أكلوا طفولتها بملاعق العفة،
وخرّبوا غناءها البرّي بمعزوفة الزفاف .
آهـ . . .
هي التي إن حملتْ ستنجبُ طيفا،
له احزانٌ غير مكتشفة بعد .

كانت تجمعُ عشبَ الليل، وتشعله بالسهاد .
كانت يائسة كقرية مبادة .

كانت متفائلة، كشجرة تحلم بأثمار لا جنس لها.

كانت غريبة الأطوار كإله يصيح بعباده: ارحموني!

كانت تحبني واحبها، واحبها وتحبني، وتنسى أصابعها بين أصابعي في مفترقات الزمن.

كانت تمشي بأقدامي، وأسلكُ بأقدامها طريقي ذاهبا إلى بيتها. .

كانت تأتي من هناك، وأذهبُ إلى هناك، لكننا نلتقي في اللامكان.

كانت. .

هذا الكرسي الذي لم يجلس عليه أحد، المنحوت ليس من المعدن، أو من الكلمات:

هذا المصنوع من ذهب خواطري، مازلت احتفظ به في اعماق هذه الاغنية من أجلها هي التي. .

أغنية الفراشة

كانوا يذهبون إلى المعبد، وكنتُ أذهبُ نحوكِ، حيثُ الكهف الذي يسرجُ فيه وجهُكِ القنديلَ المخبوء في أعماقنا، فنرى كلَّ شيء، حتى الظلام، صافيا.

كان ذلك قبل أن نكتشفَ الحبَ في اغنية بدائية، تكتبها إيماءاتُ أعضائنا على الريح، ونتركها تسافرُ، دون أن نفكرَ باللحاق بها، لأنهم كانوا يذهبون إلى الحربِ، وكنتُ أفرُّ منها نحو سنابل شعركِ، ملقيا إلى الوديان بقوسي وسهامي، كاشطا عن حنجرتي الصرخة البربرية.

هكذا كنتُ أعتقدُ.

غير أن ذلك كان مجرد وهم، إذ تجلتْ تلك الصرخة واضحة، ذات يوم، حين شعَّ في الكهفِ نتوءُ صخرة، فتساءلتِ بعذوبةٍ، وقد فاض نسيمُ روحكِ في الهواء، حتى طارت في رحابته الوردةُ، التي كنتُ أقطفها يوميا في الطريق اليكِ:

ـ ماذا يشبه هذا؟!

صرختُ فورا:

ـ إنه نسر..

ورحتُ أدعمُ نظريتي بضرباتٍ قويةٍ على جناحيه، لكنكِ تدخلتِ في اللحظة الحاسمة: ـ دعها تمرح، إنها فراشة!

فخاصمتكِ.

دستُ بقسوةٍ على الوردة، وخرجتُ غاضبا من الكهفِ، جامعا، في طريق العودة، أقواسي وسهامي التي رميتها من قبل.

قرونٌ كثيرة مرتْ مذ فارقتكِ، صار العالمُ خلالها أكبرَ من الكهفِ، وأبعدَ من المعبد: حضاراتٌ تنشأ واخرى تموت. امٌم تتمزقُ، وشعوبٌ تطحنُ نفسها: يذهبون إلى الحربِ وأذهبُ، متنقلا من خندقٍ إلى خندقٍ، ومن كهفٍ إلى آخر، إلى أن وصلتُ هذه الاغنيةُ إلى نهايتها، عندما ألجأني البردُ، صدفة، إلى كهفنا الأول القديم في عصر الجليد، حيث رأيتُ الصخرةَ في مكانها، فركعتُ أمامها بخشوعٍ لم يعرفه أي معبد، حتى سال التاريخُ من الجروح التي زرعتها على بَشَرة الأرض، وبكيتُ بمرارة، محاولا أن أستعيد آدميتي التي أضعتُها بين الأوسمة والمجازر، فقد كان النتوء على تلك الصخرة: النتوءُ الذي كان شاهد هيامي وغرامي، يشبه الفراشة، التي تشبهكِ.. تماما.

شوكاليتودا[1]

كانت إينانا عارية مثل ينبوع، وامرأةٌ اخرى تسيلُ مثل ينبوع من عريها، وكان الذئبُ يأتي من صحرائي، يخترقني ثم يقفزُ من خلف أسواري الداخلية: يقفزُ إليها، فأقطعُ عليه الطريق.

أقطعُ عليه أن يتزوّد من رعشتي، ومن ارتجافي: أقطعُ عليه أن يَرِدَ حوضَ أمراضي الكثيرة: أمنعُه عن الركض في برية هواجسي، كمن يهشّ نفسه عن نفسه، لكن جسدها كان يخترقُ دفاعاتي، ويأتي طواعية.

يأتي ليضرب في أضعف نقطة: يأتي نزقا، متهوّرا، ويذهبُ ليأتي بغيره، وغيره هذا يزحفُ، وهي نائمة: عارية كينبوع، وينتصبُ واقفا، شبقا، حارا وقويا: يتراقصُ خفيفا، ثقيلا، هادئا وصاخبا بين نظري: يتملقني، يتفرّسُ بي، ثم يحفرُ نفقا يلجُ منه إلى غريزتي: يحفرها بحثا عن نطفة الظل، بحثا عن ظل النطفة، فالشمس حارقة وقوية، حارقة وقوية جدا، والغليان على أتمّه.

كنتُ وحيدا، أرعى قطيع خرافي، وكانت وحيدة يسرحُ النومُ بعريها:

---

(١) شوكاليتودا: البستاني، في الاسطورة السومرية، الذي يضاجع إينانا / عشتار، آلهة الحب والحرب، وهي ترقد نائمة قريبا من بستانه، ثم يفر هاربا، قبل أن تستيقظ، ويختفي بين المدن لئلا يصله عقابها.

لمّا وثب الذئبُ، أخيرا، كان جسدُها قد انغرسَ في لعابي، فسال مع دموعي، وأشعل بِشَرتي وثيابي، وعندما امتزجا الواحد بالثاني: عندما تدافعا بالأعضاء وبالهواجس، باللوعة وبالرغبة وبالصراخ، عندما صارا كائنا آخر، ليس انسا أو ملاكا أو شيطانا، فتحتُ باب فضولي فرأيتُ اعجوبة العجائب:

كان الذئبُ يحرسُ جسدها بوداعة، فيما كنتُ أنهشُ لحم قطيعي.

ولّيتُ هاربا، لكن هربي كان برقا: كان برقا ودخانا، فشاهدني الجميعُ أدخلُ غيمة جسدي، وأمطرُ بلورا وبياضا، حتى أن عَدوى حسراتي انتقلتْ إليهم:

شاهدوا، في أحلامهم، امرأة عارية كينبوع، وإينانا تسيل كينبوع من عريها.

شاهدوا الذئبَ قادما من الصحراء، ثم أتمّوا قراءة هذه القصيدة، حتى شاهدوا اعجوبة العجائب، فصاحوا:

ماذا فعلتَ، يا عبد العظيم، حتى حلّتْ بنا هذه اللعنة؟!

لم أفعل سوى أن رفعتُ شأن المهمل من حاجياتي: كسرتُ خوفي بخوفٍ أشد، ثم زحفتُ على جمر خواطري، حتى الذروة من جبل حجَّ إليه الكلُّ، لكنني لم أصعد بهاويتي لأرمي جمرة: رميتُ عزلتي من هناك وهبطتُ، فوجدتني مطلوبا بثأر يلاحق إسمي أينما حللتُ، أنا الذي فعلتُ ما فعلتُ كي اعانقَ ضعفي بحرارة، ولأفرَّ من قوتي.

أتهمُكِ بأخطر الجمال

أتهمكِ بأخطر الجمال،
آه، الجمال..
ذلك الجمال الذي يجعلني مهددا بالطرد من القطيع، لأنزوي في ركن حانة، أو زاوية مقهى: أدخّن سجائري، محدقا بالدخان الذي يشكّلُ، وفق ايقاع اللحن الذي تعزفه الأساطيرُ، وجهكِ، فأثبُ من مكاني:

أتنقلُ، بخفةٍ، بين الطاولات.

أكسرُ في طريقي حواجز متوهمة: احطّمُ كؤوسا وقناني خمر. أقفزُ من فوق أسلاك الكلام الشائكة، متجاوزا الشائعات والصراخ، لأُحرّكُ يديَّ في الفضاء، كمن يلاحق روحا هائمة، وصلتْ لتفيض بخوفها على أمان المكان: هي روحكِ التي لا يراها أحد، روحكِ التي جاءت من أبعد نقطة في الزمن، روحكِ..

ويضحكُ الجميعُ، وتعمُّ المكان فوضى حياتي التي لا أجد لها قرارا إلا في هذا اللعب مع اللغة ومع الخيال.
لا قرار إلا في هذا الغرق الطافي فوق مياه الكتابة، حيث يبدو الطوفان مجرّد قطرة.

يغرقُ الجميع في الضحك، عندما أشدُّ على قبضتيَّ صارخا: وجدتها، وجدتها..

أنظرُ إليهم بإشفاق، وأنا أمسحُ عن خديكِ دموعا ظلت تسيلُ مذ أن حطّموا تماثيلكِ، مذ أن تحوّلتِ من إينانا إلى عشتار، ثم تمزقتِ بين الأديان والطوائف: تفرّقتِ في الجبال والأودية، ومشيتِ حافية تحت الشمس، بحثا عن نفسكِ في البراري..

ارتّب هندامكِ الذي تعتعتهُ عواصفُ التقاليد، أرفعُ عن جسدكِ الشوكَ، آثار السياط، وأطردُ الغزاة: كل الغزاة الذين تناوبوا على اغتصابكِ، وأرفعكِ.

أمسحُ صرخات السبايا، أطوفُ حولكِ: أنصبكِ على طاولتي مثل إله غير مكتشف، مثل شعاع سيطردُ الظلامَ، سيطردُ الظلام والعالم، ثم
أنحني لكِ، لأتلو عليكِ صلاتي، نيابة عن الخائبين.

اينانا، لماذا تعبثين بحياتي؟

كنتُ أسكرُ كثيرا في تلك الأيام، وكان يربكني، في كل صباح، أن لا أجد النافذة في مكانها: النافذة التي أنظرُ، من خلالها، إلى اينانا، معبودتي، التي هي كل الوردة، لو فكر العالمُ أن يصيرَ عطرا. آه.. هي كلُّ العالم لو فكر العالم أن يعود طفلا، وهي الرعشةُ، كلُ الرعشة، لو فكّر العالمُ أن يصيرَ جسدا.

ربما كان النورُ الذي تتركه وراءها قويا، فيحجبُ عني النافذة: تلك النافذة التي تثبُ منها إلى غرفتي فأقودُها، في لجّة السُكر، إلى مدنٍ طالما حلمتُ أن أكتبها في قصائد هاذية، كتبها مجهولون على الصفحة البيضاء من سُخام حياتي.

كان يُؤلمني أن أتشمم مسام الحائط، طوال النهار، بحثا عن أثر ما يأخذني إلى حل اللغز: إلى أين تذهبُ اينانا، بعد أن تتسلل في الفجر، عارية، من النافذة؟ ولماذا تظهرُ النافذة على الحائط، في الليل، وتختفي في الصباح؟

اينانا، لماذا تعبثين بحياتي؟!

كنتُ أصرخُ في الغرفة وحيدا، لكن عبثا، حتى قررتُ أن أتوقفَ عن السُكر، لأنقبَ عنها بين الأغطية، حيث يتدثرُ المنفى من شدة البرد، في

المرآة وهي تشطفُ رؤوس المارين في أعماقها، تحت حنفية الماء، في المكتبة، وهي تخيطُ بدلة الكتب، في. .

ولم يكن ما فعلتُ مجديا، فليس ثمة أثر للنافذة، ولا لإينانا التي، كانت طوال الليل، تجمعُ دموعي براحتيها، لتغسلَ بصيصَ الضوء المتسلل إلى عزلتي من الأفق، أو تفرك برائحتها جسدي، فتكشط تقاويمَ السنوات، التي حفر عبرها الألمُ نفقه اللانهائي، داخل روحي، حتى وصلتُ،إلى هذه الغرفة المقتطعة من حقول الخيال.

كنتُ مُربِكاً من نتائج البحث، وأشعرُ باضطراب من صحة كوني موجودا، لأن العالم كله، العالم برمته، فصل حياتي، حسب حجم كل قتيل في الحروب السومرية، كما شجرة انفجرتْ في قلبها عاصفة ريح، فلم يعد ممكنا جمع أوراقها المتطايرة، التي تحوّلتْ إلى كمائن و أفخاخ عصافير في الغابات.

أين النافذة؟

كنتُ قد عدتُ إلى السُكر من شدة الصراخ، فتجلّتْ لي، بغتة: وجدتُها لابثة في مكانها، قبل أن أوجد أو توجد الغرفة، ثم رأيتُ إينانا التي لم يمسسها أحد قط إلاي: رأيتها لامعة كطعنة في خاصرة اليأس، لكن لم يكن ممكنا الاستمرار بالصراخ، كي تبقى متجلية بكامل جمالها، لأكثر من ليلة واحدة، لأنهم حملوني إلى الخارج، في الفجر: تركوني في العراء وثمة ورقة في يدي: ورقة حدّقتُ فيها بذهول، سنوات طويلة، حتى أنني، على ضوء ما جاء فيها، فسّرتُ الغموضَ الذي يكتنفُ فكرة الشيطان والملاك، فقد رأيتُ حجمَ القسوة في قلب هذا العالم متجليا في عقد الإيجار، الذي يذكرُ أن الغرفة، التي استأجرتُها في تلك الأيام، كانت بلا نافذة، أصلا.

عازف الناي

كنتُ أضعُ تردّدي في خدمة الخوف الذي يكتسحُ المعبد، كمياه الطوفان، كلما وصل الغزاة وأحرقوا البلدة، رغم أنني لم أبرح مكاني مرة، ممسكا بمصيري، كعازف ناي وقع في غرامكِ: أنتِ، إينانا، يا مَن كنتِ سيدة العالم.

كنتُ أرى إليكِ من خلال فكرتي عنكِ، وأنتظرُ تلكَ اللحظة، تلك اللحظة الخارقة التي تدوم كعمر، عندما تخلعين ثيابكِ الغرينية، وتنكشفين عارية، تحت ضوء القمر: ترسلين نظراتكِ إلى الناي فيتحول، بين يديّ، إلى وردة تتفتح، بين يديكِ، فتصير شجرة تأخذيني إليها، وفي الطريق تكشطين الطين عن رغبتي، لندخل الشجرة عاريين، فتنمو على الأغصان براعم وأثمار، هي مجازات واستعارات، تنوب عن امتزاجنا،عن عراك الجمر في موقدينا، وعن قبلاتنا.

كنتُ مُجبرا، في تلك الأيام، على أن أبدو متجهما وحزينا بوجه الجميع، ولم يكن ذلك يناسب لحظتي معكِ: كان ذلك لا يشبه ما في داخلي من موسيقى، ولا ما في حنجرتي من ترانيم، كان ذلك يحفرُ نفقا طويلا من الحزن أقطعه، جيئة وذهابا، بفواصل كثيفة لا يفهمها أحد، ولا يشاركني قداسها إلا الناي.

كنتُ أود، كنتُ أود لو أنني . .

وها أني، بعد قرون من النفي، ببدلتي الغرينية ذاتها: بدلتي التي تراكمت عليها نظرات الفضوليين، أمسكُ بنفس الناي في متحف مزدحم، بعيدا عن الضفاف التي خُلقتُ منها.

آه، يبدو لي، الآن، أن السومري الذي صاغ تمثالي، ورسم قسمات وجهي بأطراف قصبة بسيطة، كان بحدس انقلابات الروح في هذا العالم، ويعرف جيدا، كفنان، ما سيفعله الحب، حسب التوقيت السومري، بعاشقٍ من طين، مثلي . .

كما مطر الصيف، كلامكِ. .[1]

«حجيك مطر صيف ما بلل
اليمشون»

اغنية من الجنوب

ليس من أجلكِ ابتكرَ أجدادي الكتابة: لم يكتبوا اسمكِ إلا غصبا، إلا بمراسم مدماة بسوط الطاعة، لأنه ممّا يحيلُ الشاعرُ، إن لم يترنّح بين آهات حروفه، إلى حفنة غبار، فيما يتحوّلُ العاشقُ، إن نطقه، إلى تمثال في معبدكِ الآهل بالشبق: تعتصرينَ تينَ شفتيكِ بين أحجار شفتيه، ثم تلعقينَ جروحَه، التي تتشققُ توقا إلى قطرة من دائكِ العبقري في انتشاره.

أعرفُ أنكِ كالباب الخلفي: لا يصدّ ريحا و لا عاصفة، وأن كلامك كما مطر الصيف، لم يبلل أحدا من السائرين، تحت سقف غيومكِ، لكنني أحلمُ بالثأر: أن أحفركِ عميقا بمعاول عطشي، وأن أرمي بدلو غرائزي في بئر لحمكِ الناصع بشعاع الشهوة، كحقل سنابل في مخيلة قطيع تائه، حوّلتِ راعيه إلى ذئب، هو أنا. .

---

(١) تتضمن القصيدة رد جلجامش على عشتار عندما طلبتْ منه الزواج، كما جاء في الاسطورة. .

البلور الذي يخون لمعانه

أتهمكِ بالملح الذي يبني سياجا من الألم، ليصدَّ، عن الجرحِ، نسمة الشفاء: حصل ذلك مذ خسرتْ يدكِ وظيفتها، فلم تعد تهش الظلام.

كان فمكِ الفتيل الذي يسرجُ النورَ في بدن الثمرة، وهو يعلنُ اندلاع الربيع.

كانت كلمتكِ شافية: نومكِ ناصع السرير، يزخ الفجرَ على هضبة الغيوم، لكنكِ تراجعتِ عن دورالوردة لصالح الخريف، تاركة إياي وجها لوجه أمام مرايا الصحراء، التي تعكسكِ سرابا.

أنا ديموزي[1]

الذي تلطمُ الفصولُ على صدرها من أجلي.

أنا جريمتكِ:

طيشكِ، وتقلبات مزاج خصبكِ.

لي الجحيم، النار، ولسعة اللهب

ولكِ نهمُ أن تبطشي بالأغاني.

لن احبكِ مهما كانت عودتكِ مسبوكة بخطى القبل، فأنتِ الموجة التي، بقليل من البلل، انفصلتْ عن زرقتها، ولن أكرهكِ أيضا، لأن ذلك يستحقُ عناءا لا تستحقينه: أنتِ البلور، الذي يخونُ حتى لمعانه..

(١) ديموزي: حبيب عشتار وزوجها، وضحيتها، كما سيأتي في هامش لاحق

اغنية إلى سيدوري[1] معاصرة

لن تغير هذه الاغنيةُ من الحاضر شيئا، فليس ثمة مَن أمسكَ بالغيمة من أمطارها، كما أن الصحراءَ، منذ أول ذرة رمل، مصمّمةٌ على البقاء كما هي، مع ذلك فالشِعرُ يبدو مصمّما على أن ينتزع المصيرَ من مصيره:

هذا الجدلُ ينفعكِ، ربما، لحدَّ الفراغ عند حدّه.

لقد حصل ما حصل قبل أن تلتحقي بمتاهة حياتي العاثرة، التي لا أذكرُ أين، بأقدام أية عاصفة ربطتُ رأس خيطها، فليس ثمة حانة ولا سيدوري، لكنكِ مصمّمة على أن تلعبي دورها.

لكلّ منا خطيئته، فعلامَ الترفع؟!

ما الرِفعة، إن لم يكن هذا الاعتراف؟!

لستُ أحبكِ لأنكِ الأقوى من الحبِ، ولن أكرهكِ لأنكِ الأرقَّ من ذلك، وكل هذا، كما كل ذاك، لن يغيّر شيئا، رغم أني تمزقتُ بينكِ وبينكِ، سقطتُ وقمتُ بينكِ وبينكِ، ربحتُ وخسرتُ بينكِ وبينكِ، ثم تواريتُ من بينكِ وبينكِ، حتى أنني لم أعد أذكرُ ما كان بينكِ وبينكِ، أما الحب فليس الحكمة، ولاخفقة القلب: هو كلُ ما ليس بينكِ وبينكِ.

---

(١) سيدوري: صاحبة الحانة في الاسطورة، التي تنصح جلجامش بالعودة، والتمتع بالحياة، بدلا عن البحث في لغز الموت، وسر الخلود..

الحبُ يتيمٌ يعطي الآباء صفاتٍ أعلى من هاماتهم.
هو رسامٌ في قفر، يرسمُ وردة.
هو شاعرٌ في محنةٍ، يقترحُ خصوماً أكثر ألقاً.

كان يمكنكِ بقليل من القوارب، أن توقظي الساحلَ من قيلولته الممهورة بقلبكِ، الذي مزقته ريحٌ تركضُ خلف أقدامها، منذ بداية الهواء.
كان يمكنكِ، بقليل من النعاس، أن تمنحي النوم إجازة، وأن ترفعي عن السهاد عناء أن يكون شاهدي على فصامكِ بين الحب واللاحب، فلستُ جلجامش أصلا، وإذا كان ذلك ممّا يجعلكِ فاتنة العالم فلا سفينة، في الافق، إلا نسيان وجهكِ، الذي عبره يسترقُ الزمنُ النظرَ إلى بصيص لحظته، التي انطفأتْ في ساعتي العاطلة.

لا خلود إلا في الفرار منكِ: أنتِ الأفعى التي تبتلعُ كل قادم نحو قلبها، حتى لو كان هو الطوفان نفسه.

أصرخُ بكِ، وأنا أكرعُ الكأسَ، في كل حانةٍ تنتظرني فيها نصيحتكِ الماكرة .
أنا هبوبٌ غامضٌ داخل نفسي: لا أقوى على رفع ريشة، رغم أنكِ تطيرين فيّ، وفي كل مرة تسقطين لأنكِ، دائما، في غير مكانكِ المناسب.

كيف تكتب قصيدة نثر؟![1]

توسّد ذراعيكَ وابكِ لأن عشتار، أينما حللتَ، بانتظاركَ، فما حصل لديموزي، وإن كان من تأليف الكتبة، إلا أن مصيره يليقُ بشاعر مثلكَ. . لكن، مع ذلك، لا تتركَ لإسطورتكَ أن يصنعها أحدٌ سواك، كما أن أوروك مقفرة فليس إلا هي: لا امرأة في هذه البلدة.

حاول ما أمكن أن تغفر، لأن المسألة هي أن تكون طيبا وهشا بما يكفي لأن تبدو مغفلا: ألا تهتم بلمسة الآخرين على صدرها الفاتن، فمن بين ثدييها فقط يمرُّ الخيطُ الذي يقودكَ إلى دلمون، حيث تقاسُ الأعمارُ، هناك، بثقل اليأس، وبغزارة القلق.

قلْ:

لعلها تلعبُ، هذه الكاسرة القلب، التي التقيتها في عالم من الخرائب: هواجس أهله وأحلامهم من الغبار.

---

(١) في الاسطورة السومرية أن إينانا / عشتار البابلية / تهبط إلى عالم الموتى، في واحدة من نزواتها، وهناك تتلقى صنوفا عديدة من المهانة، وعندما تتشفع لها آلهة سومر من اجل الخروج من عالم الأموات، تشترط آلهة العالم الأسفل أن تقدم عشتار بديلا عنها، كي يهبط مكانها، وهكذا تخرج، لكنها في بحثها عن البديل يقع اختيارها على زوجها وحبيبها ديموزي، الذي يحاول، عبثا، الإفلات من هذا المصير.

لعلها لم تكن غير حلم راودني في يقظة الكتابة، رغم ترانيمها في حنجرة الأغاني، رغم عواطفها على زبد الماء، و رغم دموعها في منامي.

اكتبْ:

لم أكن على بيّنة من أنها امرأتي المختارة إلا حين لم تعد امرأتي المختارة، وتلك مسألة ليست لها علاقة بالشِعر الرديء، إذ الكلمات معاول، والجملة تضربُ رأس اختها الجملة، فتطفرُ شرارة لا تجرّ وراءها إلا خيطا من السأم.

اصرخْ:

لا أعرفُ كيف أن عينيها لا زالتا مغروستين في عينيَّ، ولا أفهم لماذا يخونُ المرءُ عينيه الجميلتين..

حقا، مَن يجرؤ على الإساءة لعينيه الحقيقيتين، وسط هذا العمى؟!

ها أنتَ إذاً: عشتار التي اتضح أنها امرأة كنتَ تعاملها كآلهة، لأنكَ بحاجة إلى مَن تعاملها كلؤلؤة، كفيض من الدرّ، وكإشراقة من ذهب، إذ العالم من حولكَ منجم من الفحم: لا ضحكة بلورية، ولا إبتسامة هي مصباح، يضيء من دون شعلة، ولا زيت.

آه، لو تفهم النبلةُ أن القلبَ المثقوب لا يعبأ إلا بالثقب: لماذا هذا المكان، وفي هذا التوقيت؟ وهل يصلح القلبُ أن يكون بيتا لحبيب، وهو مليء بالدم؟

إن أتقنتَ نثرَ الحيرة: حيرتكَ، على الورقة، وكأنها اكتشافات، فتأكد أنكَ كتبتَ، بطريقة ما، قصيدة نثر.

أنا الذي قامرتُ بحياتي

«تتمة لقصيدة، لم يكتبها سركون بولص بعد»

«ليس للفنان الذي يضع حياته على المحك من شقيق. . »

صاموئيل بيكت

كانت درجة حرارة اليأسِ قد تجاوزتِ الغليان، في ضواحي أحلامي، فتبخّرتْ جميعها، كشَعبٍ من الغبار والنسيان، وأنا سكرانٌ ومفلس: رأسي بين أقدامي ادحرجه أمامي مثل كرة معطوبة.

مشيتُ طويلا في الشوارع، الى أن قررتُ الاستراحة، فاتخذتُ منه مقعدا، وجلستُ فوقه، في حانة سيدوري، حيث يجلس الحشاشون، والسائرون في نومهم، على جرعات، فوق مصائرهم.

كنتُ اريدُ أن أعرف ماذا يغنّي المفتاحُ أمام حزمة أبواب، لأنكِ صرخة في طريقي لابدَّ أن أثبَ خارجها دون أن أوقظ أحدا، فأنتِ أخفّ من أن تكوني قفلا، وأنا أبعد من أن أكون بُعدا.

كنتُ بحاجة إلى روحي الطليقة، التي تسطعُ فيها شمسُ الشكّ، ويرفرفُ داخلها القلقُ، لأنكِ ماكنتِ لتعرفي معنى أن تكوني ملاذا، وأنَّ سكراناً ومفلسا يصحو وينامُ متخيلا أنكِ امرأة.

كنتُ أحتاجُ الجنون كي افكرُ بطريقة أفضل، لأنكِ تجذبين الجرحى إلى

ينابيعكِ، وتبنين من شقوق شفاههم مشاحيفَ من العطش.

كنتُ بحاجة إلى امرأة اجترحُها من بطون الأساطير، فأنتِ أوحش من أن تكوني صحراء، وأعمق من أن تصيري طعنة، فكل من أحبكِ تحوّلَ الى حصاة، وكل حصاة تنتظرُ أن ترميها على مُحبّكِ التالي.

كنتُ بحاجة إلى مَن يُزيح عني ثقلَ العالم، الذي اكتشفتُ أنه يشاركني الجلوسَ فوق رأسي، في الحانة، فيما سيدوري تعرض عليّ مفاتنها :

«لكَ وحدكَ،
هذا السرير الناصع من اللحم،
هذا الرخام المغسول برذاذ النشوة،
هذه التلال من بَرادة الشبق،
لكَ وحدكَ..».

تخبرني أنني الوحيد، السهمُ المسموم الذي اخترق حُجب قلبها. تغويني بفكّ النحس، وبالنوم على وسادة من مفاتح الممالك.

تساومني كعاهرة ضاجعتْ عصورا من الرجال، ولم تبلغ كفايتها قط، لكنها الآن، بفراستها، تبدو واثقة أنَّ في شراييني، أنا السكران والمفلس، تسبحُ النطفةُ المختارة، التي تجسم لجسدها المبحر في النار خارطة الذروة.

كانت الطرقُ متشعبة، كحلقات من الدخان، تتحركُ في كل اتجاه، حسب مسقط رأس الألم، وحسب أمطار الخذلان التي تذرفها غيمةُ الخسارة، كذاكرة جلجامش مخمور لطخ اسوار بلاده بدم العبيد، وبالدموع، ثم اكتشف الخدعة، فعاد محمولا على أكتاف قتلاه، بعد قرون من الحانات، باحثا عن..

ـ «سيدوري، أين قامرتُ بحياتي، من أجل عشبة الخلود؟ في أية حانة؟ لماذا لم أربحها، أو أخسرها؟

لقد أتلفتُ موارد اوروك على المرتزقة من الشعراء، الذين تجندينهم، ولم أقبض شيئا..».

يصرخُ بوجه سيدوري، وهو يخضّها مثل شجرة تعرفُ، وحدها، كيف كان يفكرُ ابليس عندما أغرى الملاكين بأكل التفاحة:

ـ « لقد أخذتُ بنصيحتكِ، وأنتدبتُ مليون ناقدٍ للكتابة عن ملحمتي، أيتها العاهرة، لكن...»

فنهضتُ.

كنتُ في قطار يهدرُ بكآبة، بعد أن نفدتْ فيه البيرة، وجفَّ السُكرُ في عروق سكته الحديدية، مما اضطرني إلى مغادرته قفزا من نافذة الخيال، مجردا من أوراقي، حقائبي، وعكازي: زاحفا على ركبتيَّ، عشرة بعد عشرة، حتى وصلتُ المجهولَ، ولامسَ حدسي الغامضَ منه، حيث وجدتُ آتونابشتم يُشعلُ أعشابا، ويستنشقُ دخانها منتشيا: يراقص الافعى، و يغنّي اغنية «عندما كنتُ سكراناً ومفلسا» فشاركته الغناء، بعد أن استعدتُ مزاجي الذي جاءني محلقا بريش النثر، فيما أنا أهبطُ بهدوء، نبضة بعد نبضة، نحو القعر الاعمق من هذه الاغنية، ممسكا بحبل مصيري، الذي نسجته من عثرات الطريق، تاركا العالم، في الخارج، يمشي مترنحا على الأرصفة الموحلة، وهو يدحرجُ كرة ما بين قدميه، ربما هي رأسي، رأسكِ، رأسه، أو رأسكَ: أيها المجد الذي تقرّحتْ على جِلدكَ الروحُ، أيها الأجرب، ياعدوي البائس، أيتها المصيدة.

ثالثا
اغنية السيدة ذات القلب الأعظم[1]

(١) السيدة ذات القلب الأعظم هو عنوان قصيدة الشاعرة السومرية أنخيدوانا، في مديح إينانا / عشتار . .

أشتاقكِ حتى وأنا أشتاقكِ، وبعد أن أشتاقكِ يحصل أن يحاصرني الشوقُ ثانية، كأنني لم أفِ اشتياقكِ حقَّ أن يكون شوقا يعكسُ نورَ صعقتي بجمال اشتياقكِ، فأنتِ فكرةٌ في مخيال الشِعر، يكتبها الشعراءُ جيلا بعد جيل، وحين تتحققُ الكتابة تنفتحُ الفكرةُ على فكرةٍ اخرى تنسفُ الكتابة، فلا يكتبكِ أحدٌ إلا بالمحو، ولا يمحوكِ إلا من رآكِ، وكلُّ مَن رآكِ رأى ذاته، فخرّ صعقا ثم صاح من الوجد:

أبحثُ لكِ عن وجه..

أبحثُ لكِ عن وجه.. أنتِ الموصوفةُ بالعطر، وروحكِ لا تشرقُ إلا على الغصن، مثل وردة.

لن أقطفكِ كما يفعلُ العشاقُ، إذ لستُ أحدا من هؤلاء، لستُ من أولئك: إنني عاشقٌ يجدلُ سلة أحلامه من دخان النوم على المصاطب، من النجوم التي تومضُ في سماء اسمكِ، من الرحيق الذي يعطُّ من مساميكِ، فيكوّن سحابا أزرق إليه يصعد المطرُ، ومنه يسقط الكلمُ الطيب، والرمانُ، والتينُ، والزيتونُ، وطورُ سنين..

أقيمُ بينكِ وبينكِ، فلا بيت إلا الشِعر، ولا سقف إلا القصيدة.

لا أذكرُ أين رأيتكِ أول مرة، ربما خلف النسيان والذاكرة: لا أذكرُ من

وجهكِ إلا وجهكِ كله، ولم أتحرَّ عن اسمكِ في الأسماء، رغم أن اسمكِ في الينابيع، يختلفُ مع مذاق كل نبع.

لكِ الماءُ في كل قطرة، في كل بذرة لكِ بستان، ولكِ خلف كل نافذة مسافرٌ: هناك قطاراتٌ تقلكِ إلى كل مكان، في آن واحد: محطات كثيرة تنتظركِ. تمشين مع المطر تحت المظلات، تشربين في الحانات كؤوس عشاق لم يأتوا إلى الموعد، وتنامين مع شعراء على مصاطب من الهواء.

سريركِ غابة، وهم بعضُ أشجاركِ.

لكنني قدتُ أيامي بعصا طولكِ: تبعتُ آثاركِ في الأسفار، فعثرتُ على مدن لم تخلق، لكنها مأهولة بضواحيك وأنحائك: مأهولة بخطواتكِ، بطيرانكِ، وبشعركِ الذي يغطّيكِ عارية في الماء، في النار، في الهواء، وفي التراب..

عثرتُ عليكِ تحت ثيابي، فارتديتكِ، ومشيتُ عاريا، يكسوني الندى بعادات براعمكِ، شاهدتكِ على شاشات السينما، وأنتِ جالسة جواري، وصافحتكِ في منامات كنتُ فيها يقظا.

قرأتكِ في الأديان، وتنفستُكِ في قرى التهمتها الحرائقُ: سمعتُ أجراسكِ في الكنائس فخشعتُ وصليتُ، شملني غناؤك بالحنان في الأزقة، فترنحتُ وبكيتُ، وتعتعني حنينكِ في المنافي، فانشطرتُ في الجهات.

هدهدني صوتكِ، وأنا نائم في مهد صوتكِ.

وكثيرا خفتُ من جبروت ضعفكِ، كثيرا آويتُ شجاعتي إلى سلامكِ،

وقدّمتُ عنقي إلى حروبكِ: كثيرا شربتُ دموعكِ، وسكرتُ في حانات نومكِ.

إنني متورطٌ بما لا أعرفُ كنهه: لا أعرفُ ما هو الحبُّ بالضبط، إلا إذا كان هذا الذي يوتّرني مثل قوسٍ، هو الحبُ.

إلا هذا التردد، إلا هذا اليقين، إلا هذا الخوف، إلا هذا الذهاب، إلا هذا الإياب..

إلا إذا كان هذا الطيران، كالريشة، من يدكِ هذه إلى يدكِ تلك، هو الحبُ.

إلا إذا كان هذا الحبل الذي يتدلى من سقف العالم، وأنا أتأرجحُ معه، هو الحبُ.

إلا إذا كان هذا الشغف بأن أتيه في أقاصي وجهكِ، هو الحبُ.

إلا إذا كان هذا الخطر المحفوف بهديل الحمامة، هو الحبُ.

إلا إذا كان هذا النعاس المقيم في مهد السهاد، هو الحبُ.

إلا إذا كان هذا السرير المحروس بقبائل من القلق، هو الحبُ.

إلا إذا كان ازدهار الرقة في الشوك وتفاقم الخشونة في الحرير، هو الحبُ.

إلا إذا كانت هذا السهم الذي ينطلق نحوكِ فيمزق قلبي، هو الحبُ، لكنني أعرفُ مساراتٍ كثيرةٍ، وكلّ مسار نهايته أنتِ.

إذا صرتِ حربا، فأنا الميادين، والغبار، والعربات، وأنا القتلى كلهم.

إذا صرتِ خمرا، فأنا سكرانكِ الأبدي.

اجرفيني إذا صرتِ ريحا، فأنا ريشة بملامح حصاة.

اجرفيني إذا صرتِ إعصارا، فأنا حصاة بملامح ريشة.

اكسريني، فأنا انسان..

استعاراتُ غيابكِ تجري، تسيلُ في ساقية الحضور، ومجازاتُ حضوركِ تشغلُ الغيابَ عن نقل أقدامه.

لا أقول: «احبكِ» لأنني قلتُ ذلك لأُخريات قبلكِ.
لأنني خِطتُ على قمصانهن أزرارَ صعلكتي وعُريي.
لأنني نمتُ في الممزق من صفحاتهن، واغتسلتُ بالحار من مياههن العميقة.
لأنني كتبتُ بأصابعهن أغلاطي الجميلة.
لأنني شطفتُ يأسي بدموعهن، وآخيتُ بين خيباتهن ودموعي.

كان نصيبي من الحب أن أقع في غرام جميلة، تحرضني على أن أكفر بجمال جميلتي السابقة:
لن أكفر لأن كل جميلة أنتِ. كل كفر أنتِ، وكل طاعة.

كل شِعر أنتِ، و كل نثر.

احبكِ لأنكِ كلّهنَّ، لأنكِ الفيء، وأنا الجسرُ الذي لم ينم، في حياته، على وسادة من فيء، لأنكِ السفينة، وأنا الطوفانُ الذي يحدسُ أن مَن يوقفه عن الغرق في الطوفان، هو أنتِ.

كل صباح يريني هيامئُ كيف أتدلى من عنقكِ، ككِسرة من مياه القمر، لأن جسدكِ النورُ: هكذا خنقني حبرُكِ من بداية السطر، أنا الجاهز العنق

لكل مشنقة، لكنني رأيتُ الخلاص يلمعُ، كالموس، بين نهديكِ فالتقطتُ حرّيتي بأسناني. من يومها وأنا ألفُّ عنقي حول منديلكِ، واغني:

أنتِ عشبة الخلود، التي من أجلها يكتبُ العالم خطواته اللامتناهية في دفتر الخطر.

أنتِ المغامرة، والوصول.

أنتِ العودة بقبضة التجربة.

أنتِ الزمن، قوارب الخيال، والطيران.

أنتِ الرغبة، الجسد، وأنتِ اللعنة والغفران، وحلاوة الخطيئة.

أنتِ تنهداتُ النبع: جريانُ الدفء في نهرٍ من البشاشة.

أنتِ سدودٌ من الحنان: خيطٌ من الطفولة، لم يزل يرتفع من أجل طائرتي.

أنتِ أجملُ سرقاتي من الكتبِ: زادي أنتِ، ومتعتي عندما تسطعُ شمسُ الافلاس، ويخرُّ التشرّدُ صعقا من جيوبي.

أنتِ هروبي من الثكنات: متاهتي أنتِ، وحدودي.

أنتِ منفاي: وطني الذي ولدتُ فيه مقذوفا إلى خارج العالم.

أنتِ فيروز عندما يغرقُ المطرُ في الصباح.

أنتِ صباحٌ يشرقُ من قصيدة منتصف الليل.

أنتِ اغنية، منذ قرون، وأنا أبحثُ عن بداية لأكتبها:

أعرفكِ تماما كما أعرف الملائكة، رغم أنني لم أقابلكِ مرة.

لم أعرفكِ قط، كما لم أعرف الملائكة، رغم أني أحفظكِ عن ظهر قلب.

أعرفكِ خائبة، وأعرفني لا أفوقكِ إلا في ذلك.

أعرفكِ تكتبين العثرات، وأعرفني أقودُ خطواتي إليها.

اعرفكِ بمستوى المصابيح: تكنسين عن أكتافي ظلام الأزقة.

أعرفكِ خلف العالم، وألمحكِ، خلف الشبابيك، تجلدين المارة بخواطر ينسجها صمتكِ.

أعرفكِ مشطورة بينكِ وبينكِ.

أعرفكِ ذاهبة وقادمة.

أعرفكِ ممّا يسببُ الدوارُ للبحر.

أعرفكِ ممّا يعودُ الصيادون به لينتبذوا بحرا بعيدا عن دموع زوجاتهم.

أعرفكِ ممّا يُفرّقون به بين الليل والظلام.

أعرفكِ ممّا يجعلُ القوارب سكرانة تنقلُ على ظهرها العواصف.

أعرفكِ مما يجعل الشواطيء آهلة بالقبلات واللؤلؤ.

وأعرفكِ ممّا يجعلُ الشيطان والملاك في حيرة من أمر الله.

أشعرُكِ امرأة.

أشعرُكِ في اللانهاية، هناك.. في غرامياتٍ شائكة، وفي حبٍ لم يحصل بعد.

أشعركِ في القفص تمنحين القضبان أجنحة الحرية.

أشعركِ تحت السوط تباركين الحزانى.

أشعرُكِ المختارة من العشق، والعاشقة من الشاعرات.

أشعرُكِ هائمة على وجهكِ، في العالم.

أشعركِ تحملين العالم.

أشعركِ تلدين العالم.

أشعرُكِ المسافات، الخطوات، والبعد.
أشعرُكِ أفقا من الغموض، وغموضا يغسلُ الافق بحزنه.
أشعرُكِ تبحرين في نهرالكون وقاربكِ الزمن.
أشعرُكِ في الساعات تجرجرين الزمن من ياقته.
أشعرُكِ الطمأنينة عندما تتعطل حواس الأمان.
أشعرُكِ الأمان يكسو الخوف جلباب نومه.
أشعرُكِ الخوفَ يجلس مع الأمان على مائدة واحدة.
أشعرُكِ إنسانا، وأشعرني ذائبا فيكِ، لكن ذلك هو ما يقلقني:

يقلقني أنكِ امرأة ويقلقني أنني رجلٌ.
يقلقني أن الحبَّ لا يستطيع أن يصهرنا أكثر من أن تكوني الخيط وأن أكون الشمع، أو أن تكوني الشمع وأنا الخيط.
آه، الشعر هو الخلاص عندما يذيبنا كالشعلة في النار، فلنصرخ إذاً: إن لم تجمعنا الحياة معا، فليجمعنا الشعرُ..
كلانا يعرفُ أن الآخر ليس هو الآخر، وأن المستحيل كلمة فارغة.
كلانا يجهل أن الآخر هو الآخر، وأن الحب لغة مستحيلة.
كلانا يؤمن أن الشِعر هو الحب، وأن الحب هو الشعر.
كلانا يكتب الشعر على صدر أيامه، فيموت شهيدا.

قلتِ مرة: أنتَ ملاكي، فصرتُ شيطانا.
قلتِ مرة: أنتَ حدودي، فصرتُ متاهة.
قلتِ مرة: أنتَ عنواني، فتلاشيتُ، ولم أعد أحدا..

يا زميلتي في الخوف، يا نهاية البعد ومبيت الخطوات في المسافة.

يا طالعة بوجهكِ المبتسم، يا مبتسمة بقلب الطفل.

يا ناضجة كالطلع، يا جريمة عادلة.

يا شريكة الليل، وغريبة النهار.

يا مَن تلوذ باسمكِ البراري ساعة يريق مياهه الجفافُ.

يا من لا يطيق جمالك الجمالُ.

يا من يبتكرون القبل من اجل شفاهكِ.

يا من أشركتِ بي واشركتُ بكِ، فلم نعد نحب بعضنا البعض كما أنتِ أو كما أنا:

نزعنا رمحَ العشق في القلب فانقلبنا:

تحبينني كما هم اولئكِ السائرون في نومهم، واتعبدكِ كما يفعل البدائيون في الكهوف: كما يحب الحمقى والاغبياء والسكارى، كما يتعبد العميان نورا منسيا، كما يتهجد الاميون حروفا من الصخر.

احبكِ، وأعرفُ أني لا أستطيع أن أحبكِ لأن العالم خسر قلبه في الحروب والمعارك.

لأنكِ الحب ذاته.

لأنكِ الشك، وأنا القلق الذي يفور في صحنه الجمر.

لأننا جرحنا المهدَ، وخرّبنا سرير الطمأنينة.

لعبتُ معكِ لعبة الغرق، فولد الماء.

لعبتُ معكِ لعبة الماء، فولد المطر.

لعبتُ معكِ لعبة المطر، فولدتِ الغيوم.

لعبتُ معكِ لعبة الغيوم، فولد البرق.

لعبتُ معكِ لعبة البرق، فولد المرمر.
لعبتُ معكِ لعبة المرمر، فوُلد صدركِ:
لعبتُ معكِ لعبة صدركِ، فوُلدتْ حلمتان.
ثم
نفد اللعبُ، فجأة، فقد وصلتِ التقاليد،
ولدتِ العائلة، ثم نشبتِ الحربُ.

عندما نقبّوا، بحثا عنك في طبقات سومر، وجدوا حلمة واحدة: حلمتكِ الثانية لا يعرف أحد أين استقرتْ:

لعل الغزاة، في أحد أدوارهم، حملوا غبارها إلى بلادهم، فجُنّ الهواء وولدتِ العاصفة.
لعل الريح حملتها فنبتتْ أولُ شجرة رمان على الأرض.
لعلها وقعتْ في يد الماء فسكرتِ الينابيعُ، وترنّح العالمُ.

لعلها..

لعلها صارت كلمة، تشعبتْ جذورُها بين سطور أوراقي، ثم فاضتْ بحنان على هذه القصيدة.

المحتويات

إهداء ٥

أولا ـ الأعمال الناقصة للملاك ٧

جاء في أخبارِكِ ٩

تماثيل ١٠

كانوا يحبونكِ ١١

فكرةٌ عن الضوء أو ضوء فكرة ١٣

البستان ١٤

احبُ الحبَ العاثر الحظ ١٥

الباقيات الصالحات من الحب ١٦

النبع ١٧

قتلتُ مَن أحبُ ومن لا أحبُ ١٨

طاعة من غبار ١٩

كوني واحدة، لأتعدد ٢٠

مثل مكسور ينكسر ٢١

كما قارب في إعصار ٢٢

الشُعلة ٢٣

ضمّة ناقصة ٢٤
الأعمى ٢٥
الفريسة ٢٦
قُبلتكِ ٢٧
أقابلني في عيونكِ ٢٨
جاء في القلب أنكِ الحنان ٢٩
عليكِ السلام ٣٠
آية دموعكِ ٣١
دموع ٣٢
كانت آيتكِ أنكِ امرأة ٣٣
يا خرائبي، يا حبي ٣٤
الينبوع ٣٥
فمكِ.. ..... ٣٦
من عاداتكِ أيضا ٣٧
كان حنانك ٣٨
نوافذ ٣٩
خرّبتِ أخلاق قصائدي ٤٠
أسمعُ يدي تزقزقُ ٤١
عطر ٤٢
اللا أحد ٤٣
أنتِ ٤٤
العصفور ٤٥

القشّة ٤٦
عندما قتلتُ كل وحوشي ٤٧
أنتِ عشتار، وأنا سومر كلها ٤٨
تشرقين فتطيعكِ المعصية، ويصيرُ النثرُ شِعرا ٥١
سلكتُ نفسَ الطريق الذي أتيتِ منه ٥٣
الرسولة ٥٥
ثانيا ـ كيف تكتب قصيدة نثر؟! ٥٩
معنى أن تكون شاعرا.. ..... ٦١
خارج الحدس وخلف التوقعات ٦٣
كنْ عاشقا عالميا، كالتراب.. ..... ٦٥
أنبتُ ورودا بين أقدام تماثيلكِ ٦٧
الشرارة ٦٨
عندما سقط العابد والمعبود ٧٠
الحب، حسب التقويم السومري ٧٣
أغنية فقدانكِ ٧٥
لا مفرَّ لكَ.. ..... ٧٧
كان عليّ أن أهربَ منكِ ٧٨
في الصباح أجدني نائما عند أقدامكِ ٨٠
عرّافة اور ٨٢
تفرّق الناسُ وما تفرّق عطره ٨٣
امرأة الطوفان ٨٤
حمامة بيضاء، كحمامة بيضاء ٨٦

احبكِ، قبل أن يبتكروا الكتابة ٨٨
رأيتكِ في البلدة التي لا اسم لها ٩٠
اغنية هي التي.. ..... ٩٢
اغنية الفراشة ٩٤
شوكاليتودا ٩٦
أتهمُكِ بأخطر الجمال ٩٨
ايناانا، لماذا تعبثين بحياتي؟ ١٠٠
عازف الناي ١٠٢
كما مطر الصيف، كلامكِ.. ..... ١٠٤
البلور الذي يخون لمعانه ١٠٥
اغنية إلى سيدوري معاصرة ١٠٦
كيف تكتب قصيدة نثر؟! ١٠٨
أنا الذي قامرتُ بحياتي ١١٠
ثالثا ـ اغنية السيدة ذات القلب الأعظم ١١٣